سلسلة الحقوق الإسلامية

١

حق الله عز وجل على العباد

وحق العباد على الله

تأليف

يوسف علي بديوي

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - دمشق - ص. ب ٣١١
بيروت - ص. ب ٦٣١٨ / ١١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك ربِّي حمداً كثيراً خالداً مع خلودك، وأحمدك ربِّي حمداً لا منتهى له دون علمك، وأحمدك ربِّي حمداً لا منتهى له دون مشيئتك، وأحمدك ربِّي حمداً لا أجرَ لقائله إلاَّ رضاك.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، إله تفرّد بالْمُلْك، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله، إمام الخير، ورسول الرحمة، وخاتم النبيين.

وبعد: فإنَّ الله تعالى خَلَقَ العباد، وبَعَثَ الرُّسل لدعوة النّاس إليه، وتذكيرهم بضرورة العودة إلى الفطرة السليمة والمنهج القويم، فكان النداءُ الأول في كل رسالة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل ٣٦]. ﴿اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف ٥٩].

وقد أكَّد القرآن الكريم هذه الحقيقة بقول الله عز وجل: ﴿ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات ٥٦ ـ ٥٧].

ومرَّ الزمن، وتتابعت السنون، فإذا بالناس يظلمون «العبادة» فلا يفهمونها حقَّ الفهم، وتُصاب عبادة الناس بالتحريف في الفهم والسلوك والتطبيق، وانقسم الناس إلى طوائف، فمنهم من أنقص ومنه من أضاف، وكلاهما جاء بالضلال والزَّيغ..

وجاء كتابنا هذا يجول في مجالات العبادة من صلاة وزكاة وصوم وحج، يرسم الحِكَمَ المستفادة، ويحدِّد الأهداف المرجوة، باحثاً عن أسرار العبادة ومفهومها الحقيقي الذي ينبغي اتّباعه.

ولا تكمل العبادةُ دون إيمان، وللإيمان حقائق تربط بين اليقين والعمل، وله شُعَب كثيرة كالإيمان بالله تعالى والإيمان بالملائكة والجِنّ والأنبياء والرسل والكتب السماوية واليوم الأخر والقضاء والقَدَر.

ولكي نعي العبادةَ رأينا أن نفرد بعض العبادات بالحديث؛ فمنها ما يتصّل بالفضائل الإنسانية أو الأخلاقية أو الاجتماعية كالصدق والأمانة وبر الوالدين والوفاء بالعهود وغير ذلك.

ثم تحدثنا عن أساس قبول العبادات، وهذا الأساس يعني عدم الإشراك بالله، وتمثُّل العقيدة الصحيحة التي جاءت في القرآن الكريم والسّنّة النبوية المطهرة، وكان لا بُدَّ من تبيان حقيقة الشِّرْك؛ وأسبابه الكامنة في الجهل والهوى والكِبْر والعناد والخوف.

وكل هذا يدخل في مضمار حقوق الله تعالى على العباد، مروراً بمعرفة أسمائه الحسنى ودلالة كل اسم، فمعرفة الله تعالى تُدرك بطريقين: طريق العقل والتأمل في آيات الكون ومظاهر

القدرة الإلهية، وطريق معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تبارك وتعالى.

وحين أردنا أن نذكر حقوقَ العباد على الله كان لا بُدَّ من توضيح أن «حقّ العباد» هو من باب رحمة الله بهم، وفضله عليهم، فهو الخالق المنعم، يُجازي المسيء ويثيب المطيع فوق ما يستحقه من جود وكرم، فحقُّ العباد على الله لا يُفهم منه معنى الواجب بل ينبغي أن نعي أنه رحمة وفضل ومِنَّة.

ولكنْ من هم الذين لهم حقّ على الله؟ إنهم عباد الرحمن، فتحدثنا عن صفاتهم التي أشار إليها القرآن الكريم، ومن ثم عرفنا أن من حقوق العباد على الله تعالى: محبّته لهم، وإجابة دعائهم، ومغفرة ذنوبهم، وإدخال المؤمنين منهم الجنة، وفوق هذا وذاك معيَّة الله تعالى.

* * *

هذا ويأتي كتابُنا حلقةً أولى من «سلسلة الحقوق الإسلامية» التي ننوي إخراجها بإذن الله تعالى، راجين من المولى العلي القدير أن يجعل فيها الخير والبركة والنفع لكلِّ المسلمين، وأن يجعلَها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يجعلَنا ممّن يأتيه يوم القيامة بقلبٍ سليم.

* * *

اللهم انفعنا بما علّمتنا، وعلّمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً يا أرحم الراحمين.

واجعل اللهم خيرَ أعمالنا خواتيمها، وخيرَ أيامنا يوم لقائك، يوم نلقاك وأنتَ راضٍ عنا، والحمدلله رب العالمين.

يوسف بديوي

دمشق في ١٢/ربيع الأول/ ١٤٠٩ هـ
٢٢/تشرين أول/١٩٨٨ م

العقيدة ومعرفة الله تعالى

إنَّ الإسلامَ هو الدِّينُ الذي أوحاه الله تعالى إلى الأنبياء، لينقذوا الناس من ظلام الجاهلية والكفر إلى نور العقيدة والإيمان بالخالق عزَّ وجلَّ.

فالإسلام حقائق تتمثل بمبادىء بُنِيَ عليها، ومناهج عملية مرسومة، وأهداف منشودة، فيقترن الإيمان بالعمل في كثير من الآيات القرآنية، يقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ [مريم ٩٦].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [البقرة ٢٥].

والسعادة المثلى تكون بابتغاء مرضاة الله تعالى في كل الأمور، وشكره سبحانه على ما أنعم وتفضَّل، وفي هذا تكميل لتزكية النَّفس وإبعادها عن الجحود والكنود، قال عزَّ وجلَّ:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس ٩ ـ ١٠].

ويعني الإسلام: الاستسلام والانقياد لشرع الله تعالى في الظاهر والباطن.

والإيمان: التصديق بلا ريب ولا شكّ بكل ما جاء به رسول الله ﷺ.

فالإسلام اعتقاد وسلوك، والإيمان يختص بالجانب الاعتقادي المتعلّق بقلوب البشر، وهذا يتطلب النّية الصحيحة المصحوبة بالعمل الصالح.

والايمان الصادق لا بُدَّ وأن يصحّح مسارَ السلوك ويحرّك المشاعر لإصلاح الظاهر، وتصفية الباطن من شوائب الانحراف والزَّيغ.

فالإيمان ينمو بالطاعة والمراقبة، وينقص بالمعصية والغفلة، فإذا نما في النفّس أعطاها الحياة والنّور، وبثَّ فيها الطمأنينة والحيوية، قال تعالى:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام ١٢٢].

وتُمثِّل العقيدة طليعة الأعمال الصالحة، فهي الأصل والأساس، يقول الله سبحانه:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَأَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٧٧].

وكان الرُّسل الكرام يعرضون على بني البشر العقيدة الربانية عن طريق لفت النظر إلى دلائل وجود الله عزّ وجلّ، في السماوات والأرض والنفس الإنسانية، فأيقظوا العقول من غفلتها، وبعثوا فيها روح التّفكير والتأمل، ممَّا يدفع المتمعِّن بآيات الله عزّ وجلّ وعظيم صنعته في الكون، إلى الرجوع للفطرة وما غُرِس فيها من التديُّن والإحساس بوجود قوَّة وراء هندسة الأشياء المتقنة والمنظمة.

وراح الرُّسل يوجهون الأفكار ويوقظون العقول، ويتعهَّدون غِراس الإيمان بالنصيحة والموعظة الحسنة حتى آتت أُكُلها يانعةً طيِّبة، فها هو حارثة بن مالك الأنصاري رضي الله عنه يمرُ بالنبي ﷺ، فيقول له الرسول: «كيفَ أصبحت يا حارثة» قال: أصبحتُ مؤمِناً حقاً. قال عليه الصلاة والسلام: «انظر ماذا تقول؛ فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» قال: عَزفَتْ نفسي عن الدنيا. فأسهرتُ ليلي، وأظمأت نهاري. وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً. وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها. وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون(١) فيها. فقال: «عرفتَ يا حارثة، فالزِم»(٢).

وهذه المعرفة الدينية هي أجلّ المعارف وأسماها مرتبة، والوصول إليها له طريقان:

الأول: العقل والتفكر في خلق الله من أشياء وظواهر.

والثاني: معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته.

---

(١) «يتضاغون»: يصرخون.

(٢) رواه الطبراني.

١ ـ المعرفة عن طريق العقل:

خَلَق الله تعالى الإنسان، ووَهَبه عقلاً مميّزاً، وجعل وظيفته التأمُّل والتفكُّر والاعتبار والنَّظر، ودعا الناس للتفكر في مظاهر عظمة الله في الكون، والتمعّن في دلائل وجوده.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٦٤].

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس ١٠١]..

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق ٦].

﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية ١٧].

أمَّا الذين يجحدون العقل، ولا يوظِّفونه في مجاله الَّذي خُلق له للإدراك والفهم والتصوّر، فإنهم ينحطُّون إلى مرتبة متدنّية من التقليد والعماية والغواية، فيقعون فريسة الغفلة، يقول الله تعالى فيهم:

﴿وَكَأَيِّن مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف ١٠٥].

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا

مُعْرِضِينَ﴾ [يس ٤٦].

وهؤلاء كالأنعام إذ عطَّلوا نِعْمةَ العقل، وأغمضوا عيونهم عن رؤية الحق، يقول الله سبحانه:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف ١٧٩].

والسبب في الوصول لهذه المرتبة الدُّون هو التقليد الأعمى، وتعويق الفكر عن الانطلاق والبحث، وثَنْي العقل عن الخلوص للحقائق، فعبادُ الله المخلصون يتَّبعون الحق:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر ١٧ - ١٨].

أمَّا المقلِّدون، فيتَّبعون القديم، ويحاربون الجديد ولو كان أفضل وأهدى سبيلاً:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة ١٧٠]..

وغايةُ التفكير في الإسلام الوصول إلى المعرفة الكبرى المتمثلة في الإيمان بالخالق عزَّ وجلَّ، عن طريق إيقاظ العقل وفتح كتاب الطبيعة، وقراءة مظاهر عظمة الله في الكون والحياة والأحياء.

فالله تعالى هو المتفرّد في الخَلْق، والقادر على كل شيء، والمبدع للأشياء، وهو القائل عزَّ وجلَّ:

﴿قُلِ الْحَمْدُلِلهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواشَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل ٥٩ ـ ٦٤].

٢ ـ المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات:

تُعَدُّ معرفة أسماء الله تعالى ومدلولاتها، وصفاته سبحانه ومعانيها، الطريق الثاني لإرشاد الناس إلى خالقهم، وإيصالهم إلى الله والإيمان به.

ويأتي في مقدمة هذه الأسماء (الله) ويجمع صفات الكمال، المنزَّهة عن النقصان.

ويمكن تقسيم صفات الله سبحانه إلى ما يلي:

أ ـ صفات الوجود:

فالله عزَّ وجلَّ موجود، والذي يشكُّ في ذلك معاند مستكبر أو مجنون عديم التفكير، وقد تعجَّب الرّسل عليهم السلام من الشّك في الله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم ١٠]. وثمّة أسماء عديدة لله تعالى تحقِّق معنى الوجود. وهي: (الحق ـ النّور ـ الظاهر ـ الباطن).

● **الحقُّ:**

فالله عز وجل هو المتحقق الثابت، لا يتغيّر، ولا يتناقص، وكل ما عداه من مخلوقات فهي موجودة بإيجاده لها، قال تعالى:

﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس ٣٢].

وقال عز وجل:

﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه ١١٤].

● **النُّور:**

يرجع اسم النور إلى معنى وجود الله ببرهان الفطرة والعقل، فالله ظاهر الوجود، بما جعله سبحانه من دلائل تدلُّ النَّاس على وجوده. أو يكون المعنى أن الله تعالى مُظهر لغيره من العدم وكاشف خباياها بنوره للناظرين. قال تعالى:

﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

● **الظَّاهر:**

أي الظاهر وجوده بطريق الاستدلال العقلي، فكل شيء في الكون من أدلة وبراهين يُوحي بوجود الله، ويُظْهِر أن هناك خالقاً.

قال عليه الصلاة والسلام: «أنتَ الظَّاهِرُ فليس فوقك شيء»[1].

● **الباطِنُ:**

أي الباطن بحقيقة ذاته فلا يعلم ذاته أحد. والسبب أنَّ حواس الإنسان قاصرة عن تصوُّر الذَّات الإلهية، فهي فوق الإدراك. قال الله تعالى:

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد ٣].

وقال ﷺ:

«تفكَّروا في خَلْقِ الله ولا تفكَّروا في الله فإنكم لن تقدروا قدرَه»[2].

ب ـ صفات القدرة:

ونعني بذلك قدرة الله تعالى وتصرّفه في الموجودات كيف يشاء، قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد ٢].

(١) رواه مسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد.
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية.

﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾ [الكهف ٤٥].

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات ٥٨].

﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال ٥٢].

وقدرة الله مُطلقة، غير مستمدّة من شيء، أما قدرات البشر فمحدودة وناقصة في أن واحد، ومستمدة كذلك من غيرها.

وصفات قدرة الله تعالى هي: (القوي ـ المتين ـ القادر ـ المقتدر ـ الواجد ـ العزيز ـ المُقيت ـ مالك الملك ـ المِلك ـ الوارث).

● القوي:

قد يكون بمعنى القادر، ومن قَوِيَ على شيء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه التَّام القوّة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال. والمخلوق وإن وُصِفَ بالقوة فإنَّ قوَّته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج ٤٠].

● المتين:

وهو الذي لا تتناقص قوته فَيَهِنُ ويفتر، فله سبحانه كمالُ القوّة التي لا تُعارض ولا تُشاكل ولا تدانيها قوة. ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يؤثِّر في الموجودات غيره. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات ٥٨].

● **القادر:**

وهذا على معنى أنه تعالى لا يعجزه شيء، بل يستتبُّ له ما يريد على ما يريد، لأنَّ أفعاله قد ظهرت، ولا يَظْهَرُ الفعلُ اختياراً إلا من قادر غير عاجز، كما لا يَظْهَرُ إلا من حيّ عالم. قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام ٦٥].

● **المقتدر:**

أي ذو القدرة. لكن المقتدر أكبرُ مبالغة من القادر، وهو التّام القدرة الـذي لا يمتنع عليـه شيءٌ ولا يحتجز عنـه بمنعةٍ وقوة. قال تعالى:

﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾ [الكهف ٤٥].

وقال سبحانه:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر ٥٤ ـ ٥٥].

● **الواجد:**

هو الغني الذي لا يفتقـر، والذي لا يعـوزه شيء، فالله تعالى هو الواجدُ المطلق، ومَنْ عداه؛ إن كان واجداً لشيء من صفات الكمال وأسبابه، فهو فاقد لأشياء، فلا يكون واجداً إلا بالإضافة.

ولم يرد هذا الاسم في نصّ القرآن الكريم.

● **العزيز:**

أي المنيع الذي لا يُغلب، وذو العِزَّة الكاملة، لكمال قوّته وقدرته. قال الله تعالى:

﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾ [هود ٦٦].

وقال تعالى:

﴿**اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾ [الشورى ١٩].

المُقيت:

أي المستولي القادر على كل شيء، والاستيلاء يتمّ بالقدرة والعلم، وعليه يدل قوله تعالى:

﴿**وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً**﴾ [النساء ٥٨] أي مطلعاً قادراً، فيكون معناه راجعاً إلى القدرة والعلم.

● **مالك الملك:**

هو الذي يُنفِّذ مشيئته في مملكته كيف شاء وكما شاء: إيجاداً وإعداماً وإبقاءً وإفناءً. والمُلْك ها هنا بمعنى المملكة، والمالك بمعنى القادر التام القدرة. قال تعالى:

﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ**﴾ [آل عمران ٢٦].

● **المَلِكُ:**

هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كلُّ موجود، وكل شيء سواه هو له مملوك في ذاته

وصفاته، وهو مستغن عن كل شيء. وهـذا يرجعُ إلى كمال القدرة على التصرُّف والتنفيذ.

قال الله تعالى:

﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه ١١٤].

● **الوارث:**

هو الذي يُرجع إليه الأملاك بعد فناء المُلاَّك، وذلك هو الله سبحانه وتعالى، إذ هو الباقي بعد فناء الخَلْقِ، وإليه مرجعُ كل شيء ومصيره. فالله تعالى كامل القدرة على التصرّف في كل شيء.

قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم ٤٠].

ج ـ صفة الإرادة:

إن صفة الإرادة من صفات الكمال عقلاً، فهو سبحانه قد منحنا الإرادة الجزئية المحدودة، فهو تعالى صاحب الإرادة الشاملة، والاختيار الكامل، قال عزَّ وجلَّ:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص ٦٨].

وقال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لما يُرِيدُ﴾ [هود ١٠٧].

وقال أيضاً:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة ٢٥٣].

فالإرادة: هي صفة من صفات المعاني القائمة بذاته سبحانه وتعالى، وهي صفة أزلية، من شأنها تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها من وجود وعدم وتكيّف؛ بقطع النظر عن أيِّ مؤثِّر خارجي. ويُرادف الإرادة المشيئة، ومعناها لغة: مطلق القصد.

أما القدرة فهي تنفيذ ما خصصته الإرادة كإخراج الممكن من العدم إلى الوجود أو صرفه من الوجود إلى العدم، وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتَّى بها إيجاد كلّ ممكن وإعدامه وتكييفه.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ٤٠].

وإذا آمن الإنسان بإرادة الله فإنه يريح نفسه، ويُرضي ذاته، فالله تعالى يفعل الخير، ولن يستطيع أحد أن يؤثر على المخلوق بشيءٍ لم يُرِدْه الله عزَّ وجلَّ.

د ـ صفة العلم:

كل شيء حولنا وفي ذاتنا يدلُّ على علم الله تعالى المطلق، فالإتقان العجيب، والإحكام الموزون، كلُّ ذلك يشير إلى علم الله الذي لا يُجارى.

وقد وصف الله تعالى نفسه في محكم كتابه بأنه عليم خبير وأنه محيط بكل شيء علماً، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [النساء ٣٢].

وقال تعالى:

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الأعراف ٨٩].

وقال عز وجل:

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَاوَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام ٥٩].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ ٣].

ولله تعالى أسماء عديدة تحقِّقُ صفة العلم الكلي الشامل المطلق الواسع لله سبحانه وهي: (العليم ـ اللطيف ـ الخبير ـ الشهيد ـ الحسيب ـ المحصي ـ الواحد ـ السميع ـ البصير ـ الرقيب ـ المهيمن ـ الواسع ـ المؤمن).

- **العليم:**

أي ذو العلم الكامل، فالله تعالى يحيط بكل شيء علماً،

ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوَّله وآخره، عاقبتـه وفاتحتـه. وهذا من حيث كثرة المعلومات، وهي لا نهاية لها. ثم يكون العلم في ذاته، من حيث الوضوح والكشف، على أتمّ ما يمكن فيه، بحيث لا يُتصَّورُ مشاهدةٌ وَكشفٌ أظهر منه. ثم لا يكون مستفاداً من المعلومات، بل تكون المعلومات مستفادة منه.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحِجر ٨٦].

● **اللطيف:**

هو البَرُّ بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويُسبِّب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، وهذا يعود إلى صفة العلم، فهو سبحانه يعلم خفيَّات الأمور ودقائقها.

قال تعالى:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك ١٤].

وهذا الاسم «اللطيف» له معاني عدَّة سنوردها ـ إن شاء الله تعالى ـ في مواضعها حسب الصفة التي يحقِّقها.

● **الخبير:**

هو الذي لا تَعْزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري في الملك والملكـوت شيء، ولا تتحـرّك ذرّة، ولا تـسكـن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلاَّ ويكون عنده خبرُها. وهو بمعنى العلم، ولكنّ العلم إذا أُضيف إلى الخفايا الباطنة سُمِّي خبراً، ويُسمَّى صاحبها خبيراً.

قال الله تعالى:

﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام ١٠٣].

● **الشهيد:**

الشهيد يرجع معناه إلى العليم مع خصوص إضافة، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عالم الغيب والشهادة. والغيبُ عبارة عمَّا بطن، والشهاد عمَّا ظهر، وهو الذي يشاهد، فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أُضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد. وقد يُعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الله كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ [النساء ٣٣].

● **الحسيب:**

ومعناه المدرك للأجزاء والمقادير التي يعلم العبادُ أمثالها بالحساب من غير أن يحسب، لأن الحاسب يدرك الأجزاء شيئاً فشيئاً ويعلم الجملة عند انتهاء حسابه، والله تعالى لا يتوقف علمه بشيءٍ على أمرٍ يكون وحال يحدث.

والحسيب كذلك بمعنى المحاسب على كل صغيرة وكبيرة.

قال عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ الله كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ [النساء ٨٦].

وقال تعالى:

﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾ [النساء ٦].

● **المحصي:**

ومعناه العالم بمقادير ما يحيط به منها علوم العباد، وما لا يحيط به منها علومهم كالأنفاس والأرزاق والطاعات والمعاصي، وعدد القطر والرمل والحصىوالنبات وأصناف الحيوان، والموت وعامة الموجودات، وما يبقى منها أو يضمحل ويفنى.

وقال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس ١٢].

● **الواجد:**

معناه الذي لا يضلُّ عنه شيء ولا يفوته شيء. والوَجْد بمعنى العلم. ومنه قوله تعالى:

﴿وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ﴾ [النور ٣٩] أي: علمه.

وهذا الاسم غير موجودٍ في القرآن الكريم.

● **السميع:**

هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فيسمع السر والنَّجوى، بل ما هو أدقّ من ذلك وأخفى، وهذا نوع من العلم.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة ٧٦].

● **البصير:**

ومعنـاه المدرك غـاية الإدراك للمبصرات من أشخـاص وألوان وغيرها من غير أن يكون له جارحة. وذلك راجع إلى أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء، فيحيط بصره بكل شيء مهما كان خفياً؛ ولو كان ذرّة سوداء في ليلةٍ ظلماء.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر ٢٠].

● **الرقيب:**

هو العليم الحفيظ، والذي لا يغفـل عما خلق فيلحقـه نقص أو يدخل عليه خلل من قبل غفلتـه عنه. فـالله تعالى يراقب الأشياء وهو عليم بها.

قال الله تعالى:

﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾ [الأحزاب ٥٢].

● **المهيمن:**

معناه في حقّ الله عزّ وجلّ أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجـالهم. وإنما قيـامه عليهم بـاطلاعـه واستيـلائه وحفظه. والإشراف على الأشياء يعود إلى العلم، والاستيـلاء يرجع إلى كمال القدرة، والحفظ إلى الفعل. فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن، ولن يجتمع ذلك على الإطلاق والكمال إلا لله عز وجل.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُـدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر ٢٣].

● **الواسع:**

هذه اللفظة مشتقة من السّعة فالله تعالى واسع أي لا تنفد كلماته، ولا يُحاط بعلمه، بل هو سبحانه المحيط علمُه بجميع المعلومات، كلِّياتها وجزئياتها، الموجود منها والعدم، فلا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ١١٥].

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [غافر: ٧].

● **المؤمن:**

ومعناه البالغ مُنتهى العلم اليقيني في كل شيء، فليس لديه في أي معلوم ـ موجود أو معدوم ـ ظنون ولا شكوك. فيعود هذا الاسم إلى صفة العلم، فالله سبحانه هو المؤمن لأنه هو العليم بكل شيء عن حقيقته.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُـدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر ٢٣].

● هـ ـ صفة الحياة:

الحياة من صفات الكمال التي تُعتبر أساساً لصفات العلم والإرادة والحكمة. وحياة الله عز وجل ليست كحياتنا، فليس لها بداية ولا نهاية؛ بل هي أزلية أبدية، صمديَّة مستقلة، لا تحتاج لشيءٍ يُغذيها، ولا لمدد يمـدّها. فـالله تعالى هـو الكمال المطلق في ذاته وفي صفاته.

وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه حيّ، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [الفرقان ٥٨].

والحيّ في صفة الله سبحانه هو الـذي لم يزل مـوجوداً وبالحياة موصوفاً، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتورهم الموت والعدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معاً.

قال الله تعالى:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص ٨٨].

وقال عزَّ وجلَّ:

﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة ٢٥٥].

و ـ صفة الوحدانية:

وصف الله تعالى نفسه بأنه واحد في ربوبيته لا شريك له، فقال عز وجل:

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١].

وقال تعالى:

﴿مَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [ص ٥٦].

وأقام الله عز وجل الدليل العقلي على وحدانيته، فقال عز وجل:

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء ٢١ ـ ٢٢].

وصفة الوحدانية من صفات الله سبحانه، وله عزَّ وجلَّ اسمان يُحقِّقان هذه الصفة هما: (الواحد ـ الأحد).

● **الواحد:**

ويحتمل وجوهاً:

أحدها: أَنه لا قديم سواه ولا إله سواه، فهو واحد من حيث إنه ليس له شريك فيجري عليه حكم العدد وتبطل به وحدانيته.

والآخر: أنه واحد بمعنى أن ذاته ذات لا يجوز عليه التكثر بغيره، والإشارة فيه إلى أنه ليس بِجَوْهَرٍ(١) ولا عَرَض(٢).

---

(١) الجوهر: ويعني ما لا يتجزّأ لا قطعاً ولا كسراً ولا وهماً ولا فرضاً مطابقاً للواقع؛ وإلا فقد يفرض العقل المحال، فكلّ جوهر حادث لأنه مسبوق بالعدم، وجميع الأجسام المتركبة من الجواهر فهي حادثة أيضاً، والعلم بجميع أجزائه حادث. هذا هو مذهب المسلمين.

(٢) العَرَض: وهو موجود قائم بمتحيّز، وما لا يقوم بنفسه، ولا يوجد إلاَّ في محلٍ يقوم به، وهو خلاف الجوهر، وذلك نحو حمرة الخجل، وصُفرة الوجل.

والثالث: أن معنى الواحد هو القديم، فلا يمكن أن يكون إلا واحداً.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [ص ٦٥ - ٦٦].

● **الأحد:**

هو الذي لا شبيه له ولا نظير، كما أَنَّ الواحد هو الذي لا شريك له، ولهذا سمَّى اللهُ عزَّ وجلَّ نفسه بهذا الاسم، لـمّا وصف به نفسه بأنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ فكأنَّ قوله عزّ وجلّ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ من تفسير قوله «أحد».

والمعنى: لم يتفرَّع عنه شيء، ولم يتفرَّع هو عن شيء كما يتفرَّع الولد عن أبيه وأمه، ويتفرَّع عنهما الولد، أي فإذا كان كذلك فما يدعوه المشركون إلهاً من دونه لا يجوز أن يكون إلهاً، إذا كانت أمارات الحدوث من التجزِّي والتناهي قائمة فيه لازمة له، والباري تعالى لا يتجزَّأ ولا يتناهى، فهو إذاً غير مُشْبه إياه ولا مشارك له في صفته.

ز ـ صفة مخالفته تعالى للحوادث:

يتَّصف المخلوق بسمات التغير والحركة، والزيادة والنقصان، والضعف والعجز، والأكل والشرب والنكاح،

كذلك فالمخلوق يتصف بأنه حادث، فوراءه مُحدِث قد أوجده، لذلك فالإنسان تعتريه صفات الحوادث.

لكن الله عزَّ وجلَّ لا يمكن أن يتجسَّد في صورة إنسان أو حيوان أو جماد، ولايمكن أن تكون له زوجة أو ولد، ولا يمكن أن يأكل أو يشرب أو ينكح، فالله تعالى مُنزَّه عن هذه الصفات، فلا يشبهه شيء وليس مثله أي شيء.

قال سبحانه وتعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشورى ١١].

وقال تعالى:

﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة ٢٥٥].

وقال عز وجل:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام ١٠١].

ومن أسماء الله الحسنى التي تنزه الخالق سبحانه عن مشابهة الحوادث: (السلام - القدّوس - الغني - الصّمد - الأول - الآخر - الباقي).

● **السلام:**

هو الذي تسلم ذاتهُ عن العيب، وصفاتهُ عن النقص،

وأفعالهُ عن الشرّ، حتى إذا كان كذلك، لم يكن في الوجود سلامة إلا وكانت معزيّة إليه، صادرة منه. فهو سبحانه سالمٌ من كل ما لا يجتمع عقلاً مع معنى الألوهية والربوبية، كمشابهة الحوادث.

قال تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر ٢٣].

● **القُدُّوس:**

هو المنَّزه عن كل وصف يدركه حسّ، أويتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به تفكير. والقدوس مأخوذ من القُدُس وهو: الطهارة، فالقدوس: المنـزَّه عن صفات النَّقص التي لا تليق بالألوهية والربوبية.

قال تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُـدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر ٢٣]..

● **الغني:**

هو الكامل بما له وعنده؛ فلا يحتاج معه إلى غيره، فالحاجة نقص، والمحتاج عاجز، والله تعالى مُنزَّه عن النقص والعجز. وكل ما سواه مفتقر إليه، فهو سبحانه يخالف الحوادث بأنه الغني بكل شيء.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر ١٥].

● **الصَّمد:**

معناه المصمود بالحوائج أي المقصود بها، وقد يُقال ذلك على معنى أنه المستحق لأن يُقصد بها، إذ إلى الله تعالى مُنتهى السؤدد.

ومن معاني الصمد: أنه سبحانه لا يشبه المخلوقات الحيّة في حاجتها إلى الأغذية، لإمداد بقائها على قيد الحياة المقدّرة لها.

قال الله تعالى:

﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص ٢].

● **الأوّل والآخر:**

ويعني الأول: لا بداءة له، فهو الموجود بذاته قبل وجود مخلوقاته.

ويعني الآخر: لا نهاية له، فهو الباقي وحده، سبحانه لا يجوز عليه الفناء.

وقد فسَّرهما النبي ﷺ بقوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء»(١).

(١) رواه مسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه.

● **الباقي:**

ومعناه الموجود، الواجب وجوده بذاته. فلا يقبل الفناء، ولا يلحقه العدم، فالله سبحانه مُنزَّه عن مشابهة الحوادث، فلا يجري عليه زمان، لأنه هو خالق الزمان.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد ٣].

ح ـ صفات أفعال الخالق سبحانه وتعالى:

إن أفعال الله عزَّ وجلَّ متَّصفة بصفات الكمال، وهي تمثّل كمال الخالق في ذاته وصفاته، ويمكن توزيعها في سبعة أصناف:

١ ـ ما يدخل في باب الخَلْق والتكوين العام:

فالله تعالى حيّ عليم، يفعل ما يشاء ويختار، فأفعاله عزَّ وجلَّ موافقة للحكمة، مطابقة للرشاد، ومن أسماء الله الحسنى التي تمثل هذا: (الحكيم ـ الرشيد).

● **الحكيم:**

أي: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. وأجلّ الأشياء هو الله سبحانه. ولا يعرف كُنه معرفته غيرُه. فهو الحكيم الحقّ، لأنه يعلم أجلّ الأشياء بأجلّ العلوم. والحكيم هو المحكم لخَلْق الأشياء. وقد تخفى حكمته تعالى عنَّا، وذلك لضيق أفق تفكيرنا وتجاربنا.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران ٦].

● **الرَّشيد:**

أي: ذو الرَّشاد، والرَّشاد: موافقة الحق والصواب في جميع الأفعال. ومن ذلك نرى جميع أفعال الخالق موافقة لوجه الرشاد والحق.

ولم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم.

ولما كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء جاء من أسمائه الحسنى:

● **الخالق:**

ومعناه الذي صنَّف المبدعات، وجعل لكل صنفٍ منها قدراً، فوجد فيها الصغير والكبير، والطويل والقصير، والإنسان والبهيمة، والطائر والحيوان، وغير ذلك. ولا شكَّ في أن الاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بالخَلْق، إذ كان الخَلْق هيئة الإبداع، فلا يعرى أحدهما عن الآخر.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحشر ٢٤].

ولما كان الخالق تعالى هو البارىء للمخلوق؛ كان من أسمائه الحسنى:

● **البارىء:**

ويحتمل معنيين: الأول: أنه الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق، وهذا هو الذي يشير إليه قوله عز وجل ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا**﴾ [الحديد ٢٢].

والآخر: أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان من قالبه وهو التراب. فهو القائل عز وجل:

﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ**﴾ [الروم ٢٠].

ولما كان ما خلقه الله تعالى على غير مثال سبق فهو المبدع والمصوّر، كان من أسمائه الحسنى:

● **البديع:**

ومعناه المبدع، وهو مُحْدِثُ ما لم يكن مثله قطّ، ودون إرشاد أو توجيه من أحد.

قال الله تعالى:

﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [البقرة ١١٧].

● **المصوِّر:**

مأخوذ من التصوير، وهو: التخطيط والتزيين. والمراد: أنه المبدع للصور، والمزيِّن والمرتِّب لها.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحشر ٢٤].

ولما كان المخلوق مهيّاً لغاية عظمى، فمن أسمائه عز وجل:

● **الهادي:**

هو الذي هدى عباده إلى معرفة ذاته، وهدى كل مخلوق لقضاء حاجاته، فهو ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه ٥٠].

كذلك فقد أرسل الهُداة من العباد: الأنبياء والعلماء الذين أرشدوا الخلق إلى السعادة الأخروية، وهدوهم إلى صراط الله المستقيم.

قال الله تعالى:

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ [الفرقان ٣١].

ولما كانت المخلوقات تحيا وينتهي أجلها فتموت، ثم تُخلق ثانية للحساب، فإن من أسماء الله الحسنى:

● **المبدىء والمعيد:**

ومعناه الموجد، لكن الإيجاد إذا كان لأوّل مرّةٍ سُمِّي إبداءً، وإذا لم يكن كذلك سُمِّي إعادة. والله تعالى هو المبدىء أي المنشىء للمخلوقات ابتداءً، والمظهر لها من العدم إلى الوجود.

أما المعيد: فيعني أنه سبحانه يُرْجِعُ الشيء إلى ما كان

عليه بعد إعدام ذاته أو صورته.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج ١٣].

ولمَّا كان من خلق الله تعالى بعث الموتى من قبورهم، كان من أسمائه الحسنى:

● **الباعث:**

هو الذي يحيي الخلق يوم النُّشور، ويبعث من في القبور، ويحصّل ما في الصدور. والبعث هو النشأة الآخرة.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام ٣٦].

ولما كان من صور الخلق إحياء الميت وإماتة الحي، كان من أسماء الله الحسنى:

● **المحيي والمميت:**

المحيي: هو الذي يُحيي النطفة الميتة فيُخرج منها النسمة الحيّة، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الروح إليها عند البعث، ويحيي القلوب بنور المعرفة، ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق.

والمميت: هو الذي يميت الأحياء، ويُوهن بالموت قوّة الأصحّاء الأقوياء.

قال الله تعالى:

﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف ١٥٨].

ولما كان ما يجري على المخلوقات دون اختيارها ولا إرادتها ولا مشورتها، كان من أسماء الله الحسنى:

● **الجبَّار:**

هو الذي يُنفِّذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد، ولا تَنْفُذ فيه مشيئة أحد. الذي لا يخرج أحدٌ من قبضته. فالجبّار المطلق هو الله سبحانه، فإنه يُجْبِر كلّ أحد ولا يُجبره أحد.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر ٢٣].

● **القهَّار:**

هو الذي قهر الجبابرة من عُتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت، وهو سبحانه ينفِّذ مشيئته في خلقه بالقهر والسلطان.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر ٤].

ولما كانت المخلوقات بحاجة إلى من يرعاها ويحفظها ويؤمّنها من المخاوف ويراقبها، كان من أسماء الله الحسنى (القيوم - الحفيظ - المؤمن - المهيمن).

● **القيُّوم:**

هو القائم الدائم بلا زوال، وزنه فيعول من القيام، وهو نعت المبالغة في القيام على كل شيء.

ويُقال: هو القيِّم على كل شيء بالرعاية له، يدبّره بما يريد جلَّ وعلا.

قال الله تعالى:

﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة ٢٥٥].

● **الحفيظ:**

الحفيظ هو الحافظ، يحفظ السماوات والأرض وما فيهما لتبقى مدَّة بقائها فلا تزول ولا تدثر. ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويُحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نيّاتهم، فلا تخفى عليه خافية.

قال الله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ ٢١].

● **المؤمن:**

هو الذي يُعزى إليه الأمن والأمان بإفادته أسبابه وسدِّه طرقَ المخاوف. فالله تعالى هو الذي يؤمِّن عباده من الخوف، فيدفع عنهم الخطر، ويلقي في نفوسهم السكينة. وهو في الدنيا قد يكون للمؤمن والكافر، وفي الآخرة لا يكون إلا للذين آمنوا.

وقد سبق أنه يعود إلى صفة العلم.

● **المهيمن:**

هو البالغ درجة النهاية في المراقبة والحفظ، وإلقاء الطمأنينة في قلب مَنْ يرعاه ويحفظه.

وقد سبق أنه يعود إلى صفة العلم.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر ٢٣].

٢ ـ ما يدخل في باب رزق المخلوقات الحيَّة:

خَلَقَ الله تعالى المخلوقات، وقدَّر لها أقواتها، ودعا الناس إلى السعي لكسب معاشهم، ووهب الخالقُ المخلوق عقلاً، وإرادة، وقدرة على الكسب، وحرصاً على الحياة.

فالله تعالى هو الذي يرزق المخلوقات، وهو الذي تكفَّل بعيشها حتى تنتهي الآجال، ومن هنا كان من أسماء الله الحسنى:

● **الرّزاق:**

هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة، وأوصلها إليهم، وخلق لهم أسباب التمتع بها.

والرزق رزقان: ظاهر، وهو الأقوات والأطعمة، ورزق باطن، وهو المعارف وذلك للعقول والقلوب.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات ٥٨].

والله تعالى هو الذي خلق الأقوات ورزق عباده منها، لذا كان من أسمائه سبحانه الحسنى:

● **المُقيت**:

مأخوذ من القوت، أي: هو خالق الأقوات كلها، وموصلها إلى مُقْتَاتيها.

قال الله تعالى:

﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾ [النساء ٨٥].

وقد سبق هذا الاسم بمعنى القادر على كل شيء.

ولما كان الخالق سبحانه هو المغني ولا كافي سواه، كان من أسمائه الحسنى:

● **المغني**:

أي: إن الله تعالى هو الممدّ بالغنى مَنْ شاء من عباده، وفق حكمته.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [الإسراء ٢٠].

وقال سبحانه:

﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور ٣٢].

ولما كان الله تعالى يمتحن العبادَ ببسط الرِّزق عليهم والتقتير على بعضهم، كان من أسمائه الحسنى:

● **القابض والباسط:**

فالله تعالى يضيِّق الرِّزْقَ على من شاء من عباده فيحرم ويقتر ويفقر، كذلك يوسع بالرزق على من يشاء من عباده فيجود ويعطي.

قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة ٢٤٥].

٣ ـ ما يدخل في باب الهبة والعطاء:

كل شيء في هذا الكون مرهون بقضاء الله تعالى وقدره، ولا يتم شيء إلا بعطائه سبحانه وهبته، لذا كان من أسماء الله الحسنى: (الوهَّاب ـ البرّ ـ الكريم ـ الواسع).

● **الوهَّاب:**

الهبة: هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض. فإذا كثرت العطايا بهذه الصفة سُمِّي صاحبها وهّاباً. ولن يُتصوّر الجود والهبة حقيقة إلا من الله تعالى. فإنه الذي يعطي كل محتاج ما يحتاج إليه، لا لعوض ولا لغرض.

قال الله تعالى:

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص ٩].

● **البَرُّ:**

معناه: العطوف على عباده، المحسن إليهم. عمَّ بِرُّه جميع خلقه فلم يبخل عليهم برزقه، سواء أكانوا محسنين أم مسيئين.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور ٢٨].

● **الكريم:**

من كرم الله سبحانه وتعالى أنه يبتدىء بالنعمة من غير استحقاق، ويتبرَّع بالإحسان من غير استثابة، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يُبالي كم أعطى لمن أعطى.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار ٦].

● **الواسع:**

مشتق من السَّعة، فإذا كان بمعنى السَّعة في العطاء فمعناه: الجواد الذي عمَّت نعمه، وشملتْ رحمته كل برّ وفاجر، فَمِنَحُهُ كاملة، ونِعَمُهُ شاملة.

قال اللهَ تعالى:

﴿إِنَّ الله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ١١٥].

وقد سبق أنه بمعنى الواسع في العلم.

٤ ـ ما يدخل في باب الرأفة والرحمة:

يحتاج الإنسان في مختلف مراحل عمره إلى الرحمة والشفقة والعطف عليه، والله تعالى هو مالك الرحمة المطلقة في حقيقة معناها، فيدفع سبحانه الشَّر عن الإنسان ويجلب له الخير، لذا كان من أسمائه الحسنى: (الرَّحمن ـ الرَّحيم ـ الفتَّاح ـ اللَّطيف ـ الرَّؤوف ـ الودود).

● **الرَّحمن:**

معناه: ذو الرحمة الشاملة، والمنعم على عباده المستحقين منهم وغير المستحقِّين بالنعم الجليلة.

والرحمة تستدعي مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج. ولا يُسمَّى الرحمن غير الله عز وجل.

والرحمن هو العطوف على العباد: بالإيجاد والهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة وبالإسعاد في الآخرة والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم.

قال الله تعالى:

﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء ١١٠].

● **الرحيم:**

مأخوذ من الرحمة كسابقه، ومعناه: المنعم على عباده المستحقين وغير المستحقين بالنعم الدقيقة.

قال الله تعالى:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الـرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٦٣].

● **الفتَّاح:**

هو الذي يفتح بعنايته كل منغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل.

فيفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [الفتح ١].

ويفتح الأبواب للناس من المعارف والعلوم والخيرات. قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر ٢].

ومَنْ بيده مفاتيح الغيب ومفاتيح الرزق فبالحري أن يكون فتَّاحاً.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ ٢٦].

● **اللَّطيف:**

هو البَرُّ بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبّب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون.

قال الله تعالى:

﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى ١٩].

وقد سبق أنه بمعنى العليم بخفيّات الأمور ودقائقها(١).

● **الرَّؤوف:**

هو المنعم بجلائل النعم ودقيقها.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة ١٤٣].

● **الودود:**

هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيُحسن إليهم ويُثني عليهم، وهو قريب من معنى الرحيم.

ومحبة الله خاصة بعباده المؤمنين، ومودته سبحانه تعني زيادة الإنعام والفَضْل.

قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج ١٤].

٥ ـ ما يدخل في باب الولاية والنصر:

يحتاج الإنسان إلى من يتولى أمره، ويساعده في تخطّي العقبات والتغلُّب على الصعاب، فهو بحاجة إلى ولي، يناصره، ويستجيب له، ومن يملك ذلك إلا الله؟!

ومن أسمائه سبحانه الحسنى التي تمثل الولاية والنصر: (الوالي ـ الولي ـ الوكيل ـ الحسيب ـ الصمد ـ الفتَّاح ـ المجيب).

---

(١) ص (٢٥).

● **الوالي:**

هو الذي دبَّـر أمور الخلق ووليهـا، أي تولَّاهـا، وكأنَّ الولاية تُشعِر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع جميع ذلك فيه لم يُطلق اسم الوالي عليه. ولا والي للأمور إلا الله سبحانه وتعالى، فإنه المتفرِّد بتدبيرهـا أولاً، والمنفذ للتـدبير بـالتحقيق ثانياً، والقائم عليها بالإدامة والإبقاء ثالثاً.

ولم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم.

● **الولي:**

هـو المحبُّ النَّاصِر. فـإنه تعـالى يقمع أعـداء الـدِّين، وينصر أولياءه، ويتولاّهـم بتأييده ونَصْره.

قال الله تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة ٢٥٧].

● **الوكيل:**

أي: القائم بأمور عباده، في مصالحهم، وبتحصيل مـا يحتاجون إليه. ومن هذا قول المسلمين:

حسبنـا الله ونعم الوكيـل؛ أي: نِعْمَ الكفيل بـأمورنـا والقائم بها.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ عِبَـادِي لَيْسَ لَـكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِـرَبِّـكَ وَكِيلاً﴾ [الإسراء ٦٥].

● الحسيب:

هو الكافي، وهو الذي مَنْ كان له كان حسبه، والله سبحانه وتعالى حسيب كل أحد وكافيه.

قال الله تعالى:

﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾ [النساء ٦].

وقد سبق أنه بمعنى: العليم بالأعداد.

● الصمد:

هو الذي يُصمد إليه في كل الحوائج ـ أي يُقصد ـ إذ لا كافي إلا هو سبحانه.

قال الله تعالى:

﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص ٢].

● الفتَّاح:

إذ كان من الفتح: النصر، فالفتاح هو الذي يفتح على أوليائه بالنصر والتأييد.

قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ ٢٦].

● المجيب:

هو الذي يسعف السائلين، ويجيب الدَّاعين، ويكفي المضطرين، بل يُنعم قبل النداء والدعاء، وهذا لا يكون إلا لله تعالى.

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود ٦١].

٦ ـ ما يدخل في باب علاقة المكلَّفين بخالقهم:

وهب الله تعالى الإنسان عقلاً وإرادة، وهذا يقتضي التكليف، وأن المرء مسؤول عن أفعاله وأحواله، وقد أنزل عز وجل الأنبياء والرسل ليدلُّوا المخلوق العاقل على الله ويسلكوا به الطريق الأمثل.

وبما أنَّ الله تعالى هو المهيمنُ على عباده، والمتصرِّف فيهم، كان من أسمائه الحسنى:

● **المَلِكُ:**

أي: صاحب المُلْكِ والملكوت، والمتصرِّف أمراً ونهياً في عباده.

قال الله تعالى:

﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه ١١٤].

ولما كان الله تعالى هو المتصرِّف بالعباد، والمالك الحقيقي لهم فقد أنزل الشرائع لهداية البشر، وإنقاذهم من الظلمات إلى النور، فكان من أسمائه الحسنى:

● **الهادي:**

ومعناه: الذي دلَّ على طريق إقامة الأدلّة المبلَّغة على ألسنة الرسل، فالهادي هو المرشد والمبين لعباده الصراط السوي.

قال الله تعالى:

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ [الفرقان ٣١].

وقد سبق معناه في أسماء الله الحسنى الداخلة في الخلق والتكوين العام.

ولما كان الله تعالى هو الحاكم لا مردَّ لحكمه، وناصر المظلوم، والعادل بين الخلائق، كان من أسمائه الحسنى:

● **الحَكَمُ:**

هو الحاكم المحكّم والقاضي المسلّم به، الذي لا رادَّ لحكمه ولا معقِّب لقضائه، والله تعالى يحكم بين العباد، وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى، وأنَّ سعيه سوف يُرَى.

قال الله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام ١٤٤].

● **العَدْل:**

معناه أنه سبحانه لا يحكم إلا بالحق، ولا يفعل إلا الحق، ولا يظلم أحداً، فهو سبحانه يبلغ في العدل الغاية المطلقة في الكمال.

قال الله تعالى:

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف ٤٩].

● **المُقْسِط:**

ومعناه أنه سبحانه ينتصف للمظلوم من الظالم، فيعدل بين الخلائق فيما يجري بينهم من ظُلْمٍ وجور.

قال الله تعالى:

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران ١٨].

ـ والنَّاسُ في الحياة ثلاثةُ يقسام:

السابقون في الخيرات.

والمقتصدون.

والظالمون لأنفسهم.

أ ـ السابقون في الخيرات:

وهم الذين سبقوا غيرهم في الطاعة وتنفيذ شرع الله تبارك وتعالى، ولا بد أن ينالوا يوم القيامة الحمد على أفعالهم، والشكر على طاعتهم، لذا كان من أسماء الله الحسنى:

● **الحميد:**

معناه أن الله تعالى يحمد مَنْ أطاعه من عباده، ويثيبهم الخير على أفعالهم الصالحة، تكريماً لهم.

قال الله تعالى:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج ٦٤].

● **الشَّكور:**

معناه أن الله تعالى يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويُعطي بالعمل في أيام معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود. وزيادات الله تعالى غير محصورة ولا محدودة.

قال الله تعالى:

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن ١٧].

ب ـ المقتصدون:

وهم الذين يعملون الصالحات لكنهم يخلطونها بالسيئات، فيقعون في الذنوب والآثام، والله تعالى بفضله وكرمه يفتح أبواب التوبة والغفران، فكان من أسمائه الحسنى: (التواب ـ الغفور ـ الغفار ـ العفو).

● **التوَّاب:**

هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرَّة بعد أخرى، بما يُظْهِرُ لهم من آياته، ويطلعهم على تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا اطَّلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب، استشعروا الخوف، فرجعوا إلى التوبة، فيقبل تعالى مَنْ تاب من عباده.

قال الله تعالى:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٦٠].

● **الغفور:**

صيغة مبالغة لغافر، فالله تعالى يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذاته، فيتجاوز سبحانه عن الذنوب، بعد استغفار العبد وتوبته.

قال الله تعالى:

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ [الإسراء ٢٥].

● **الغفَّار:**

صيغة مبالغة لغافر، فالله تعالى يُبالغ في الستر فلا يَشْهَرُ الذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قال الله تعالى:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه ٨٢].

● **العفوّ:**

هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور لكنّه أبلغ منه. فإن الغفران يُنبىء عن الستر، والعفو ينبىء عن المحو، والمحو أبلغ من الستر.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج ٦٠].

ج ـ الظالمون لأنفسهم:

وهؤلاء هم المعاندون المكابرون، غير المكترثين بالأوزار، فلا يعودون إلى الله تعالى بتوبة ولا استغفار، والله تعالى حليم عليهم، صبور على خطيئاتهم واستغراقهم في الذنوب. لذا كان من أسماء الله الحسنى:

● **الحليم:**

هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزّه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام، مع غاية الاقتدار.

قال الله تعالى:

﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾ [الأحزاب ٥١].

● **الصبور:**

معناه أن الله تعالى لا يعجل بالعقوبة، بل يجعل كل شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون، وكما ينبغي.

وهذا الاسم غير وارد في القرآن الكريم، واختلفت الروايات في ثبوته في الأسماء التسعة والتسعين.

● **المنتقم:**

هو الذي يقصم ظهور العُتاة، ويُنَكِّل بالجُناة، ويشدِّد العقاب على الطغاة، وذلك بعد الإعذار والإنذار، وبعد التمكين والإمهال.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة ٢٢].

٧ ـ ما يدخل تحت صفات الأفعال ويعود إليها:

كل ما يجري في الحياة من متناقضات في كل الأمور، هو من أفعال الله عز وجل. فما يُصيب الناس من غنى وفقر، وذلّ وعزّ، ونفع وضرّ، كل ذلك بتقدير الله وقضائه. لذا كان من أسماء الله الحسنى: (الخافض ـ الرافع ـ المعز ـ المذل ـ المقدم ـ المؤخر ـ الجامع ـ المانع ـ النافع ـ الضار).

● **الخافض الرافع:**

هو الذي يخفض الكفار بالإشقاء، ويرفع المؤمنين بالإسعاد.

قال الله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام ٨٣].

● **المعزّ المُذِلّ:**

معناه أنه تعالى أعزَّ بالطاعة أوليائه، وأظهرهم على أعدائهم في الدنيا، وأحلَّهم دار الكرامة في العقبى، وأذلَّ أهل الكفر في الدنيا وفي الآخرة.

قال الله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران ٢٦].

● **المقدِّم والمؤخِّر:**

هو الذي يُقرِّب ويبعد، ومَنْ قرَّبه فقد قدَّمه، ومَنْ أبعده فقد أخّره. وأعلى درجات التقديم الهداية، وأدنى أنواع التأخير الطرد من الرحمة.

وهذان الاسمان غير مذكورين في القرآن الكريم.

● **الجامع:**

هو المؤلِّف بين المتماثلات والمتباينات والمتضادات. فمن المتماثل: جمع الخَلْق الكثير من الإنس على الأرض وحشرهم يوم القيامة. ومن المتباين: جمعه سبحانه بين السماوات والكواكب والهواء والأرض وغير ذلك. ومن المتضاد: جمعه عز وجل بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. ثم إن الله تعالى يجمع الناس للحساب يوم القيامة.

قال الله تعالى:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران ٩].

● **المانع:**

مأخوذ من المنع، أي حجز الأشياء، ليس عن بخل، ولكن عن حكمة. وقيل: المانع هو الناصر: أي الذي يمنع أولياءه ويحوطهم وينصرهم على عدوهم.

ومن المنع منع العطاء بقضاء وقدر. ومنه دعاء النبي ﷺ: «اللهم لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطي لما منعت»[1].

ولم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم.

● **النافع الضار:**

كل ما يجري على الإنسان المكلَّف من نفع وضرّ، وعطاء وحرمان، ونقص وزيادة، فهو من الله عز وجل.

أما الضرّ فبعدل الله، وأما النفع فبفضل الله.

قال الله تعالى:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام ١٧].

ط ـ صفات الحمد والتمجيد:

يتَّصف الله عز وجل بالمجد والعظمة، والعلو والكبرياء، ويستحقّ سبحانه منتهى الثناء والحمد، لذا فمن أسمائه الحسنى: (الكبير ـ المتكبر ـ العلي ـ المتعالي ـ الجليل ـ العظيم ـ الكريم ـ الماجد ـ المجيد ـ الحسيب ـ ذو الجلال والإكرام ـ الصمد ـ الحميد).

● **الكبير:**

هو ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، أي كمال الوجود، فدوام الله عز وجل أزلي أبدي، ووجوده تعالى يصدر عنه وجود كل موجود.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

قال الله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِـهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج ٦٢].

● **المتكبِّر:**

هو الذي يرى الكل دونه، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، وذلكم هو الله تعالى. فهو يعلم حقيقة ذاته الإلهية، فهو كبير في نفسه، عظيم في ذاته. وكل من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص، دون غيره، كانت رؤيته كاذبة، ونظره باطلاً، إلا الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُـدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر ٢٣].

● **العلي:**

معناه: الذي ليس فوقه فيما يجب له من معالي الجلال والشرف أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه، لكنه العلي بالإطلاق. فلا رتبة فوق رتبته. وجميع المراتب منحطّة عنه.

قال الله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِـهِ هُوَ الْبَاطِلِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج ٦٢].

● **المتعالي:**

معناه أن الله تعالى هو العلي في الحقيقة ولا عليّ سواه، حقيقاً بأن يكون متعالياً، أما التعالي لغيره فكذب وادّعاء.

قال الله تعالى:

﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾ [الرعد ٩].

● **الجليل:**

هو الموصوف بنعوت الجلال، وهي العزّ والملك والتقدّس والعلم والغنى والقدرة وغيرها، فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق، وهو الله عز وجل.

قال الله تعالى:

﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن ٧٨].

● **العظيم:**

معناه: الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق، فالله عزَّ وجلَّ قادر لا يعجزه شيء، ولا يمكن أن يُعصى كرهاً أو يُخالف أمره قهراً، فهو العظيم حقّاً وصِدْقاً.

قال الله تعالى:

﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة ٢٥٥].

● **الكريم:**

مأخوذ من الكرم، بمعنى: رفعة القدر وعظم الشأن. والكرم: الاتّصاف بصفات الفضل، والجود: بذل المقتنيات. والكريم: صفة لله تعالى، وتعني الكثير الخير، والجواد المعطي الذي لا ينفَدُ عطاؤه.

قال الله تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ [الانفطار ٦].

وقد سبق هذا الاسم في: ما يدخل في باب الهبة والعطاء.

● **الماجد:**

معناه: البالغ غاية الشرف ومنتهى الكرم.

وهذا الاسم غير مذكور في القرآن الكريم.

● **المجيد:**

هو الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه. وهو صيغة مبالغة للماجد.

قال الله تعالى:

﴿**إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾ [هود ٧٣].

● **الحسيب:**

إذا كان مأخوذاً من الحَسَب، وهوالسؤدد والشرف، فمعناه: المختص بشرف الألوهية والربوبية وجميع الكمالات.

قال الله تعالى:

﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾ [النساء ٦].

وقد سبق هذا الاسم في صفة العلم.

● **ذو الجلال والإكرام:**

هو الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا كرامة ولا مكرمة إلاَّ وهي صادرة منه. فالجلال له في ذاته، والكرامة فائضة منه على خلقه، وفنون إكرامه خلقه لا تكاد تنحصر وتتناهى.

قال الله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن ٢٦- ٢٧].

● **الصمد:**

إذا كان بمعنى السيِّد، فالله سبحانه وتعالى هو السيِّد المطلق وكل ما عداه فهو من عبيده.

قال الله تعالى:

﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص ٢].

● **الحميد:**

إذا كان بمعنى المحمود، أي الموصوف بصفات الحمد، والمثني عليه، وهو الله عزَّ وجلَّ، حميد بحمد عباده له أبداً. ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلوّ والكمال.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود ٧٣].

وقد سبق هذا الاسم في: ما يدخل في باب علاقة المكلفين بخالقهم.

ومن كل ما تقدَّم نُدرك أنَّ لله عزَّ وجلَّ مجموعة من الأسماء والصفات، نتوصَّلُ من خلالها إلى معرفته سبحانه، فنؤمن بالله تعالى تمام الإيمان، ونوقن بوجود إله كبير متعال، بيده الحُكْمُ والمُلْكُ، وهو على كل شيء قدير.

وأسماء الله تعالى الحسنى ذكرها النبي ﷺ بقوله:

«إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً ـ مائة إلاَّ واحد ـ من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ لله تعالى تسعةً وتسعين اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصوِّر الغفّار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيب الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي

(١) رواه البخاري ومسلم.

المميت الحيُّ القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدِّم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البَرُّ التوّاب المنتقم العفوّ الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور»[1].

ولكنَّ أسماءَ الله الحسنى ليست منحصرة في (٩٩) اسماً، ففي القرآن غير هذه الأسماء السابقة مثل: (المولى - النصير - الغالب - القاهر - القريب - الرب - الناصر - الأعلى - الأكرم - ذو الطول - وغير ذلك).

وفي أحاديث نبوية أخرى ورد أنه تعالى: (التام - الوتر - الشديد - الدائم - المبين - الجميل - وغير ذلك).

ومن هذا نجد أن أسماء الله كثيرة، غير محصورة في التسعة والتسعين المشهورة.

لكنّ أسماء الله تعالى توقيفية، أي يتوقّف في معرفتها على الشرع، فلا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى باسم لم يرد به الشرعُ من كتابٍ أو سنة مهما كان حسناً في رأينا؛ لأنَّ العقول تقصر عن أن تقدر كمال الله تعالى.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٧).

الإيمان
مظاهره وثماره

يُمثِّل الإيمان الصلة الحقيقية بين الإنسان وخالقه، ذلك أن الإيمـان نعمة الله الكـبرى على بني البشر، فقـد قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [الحجرات ١٧].

وقال عز وجل:

﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ* فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات ٧ ـ ٨].

فالإيمان اعتقاد وعمل، وقد تكرَّر اقتران الإيمان بالعمل في نصّ القرآن الكريم عشرات المرات، نظراً للعلاقة الوثيقة بينهما، وعند ذلك يتحول الإنسان إلى قوة إيجابية في الحيـاة، تنبض بالأمل والنصر والثقة بالله عز وجل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر ٥١]، ويقول عز من قائل: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم ٤٧].

وإذا عرف الإنسان ربه عن طريق العقل والقلب فإنـه يجني ثماراً يانعة، وأهمها[1]:

---

(١) انظر: العقائد الإسلامية لسيد سابق ص ٨٥ ـ ٩٠.

(أ): تحرّر النفس من سيطرة الغير عليها، ذلك أن الإيمان يقتضي الإقرار بأن الله هو المحيي المميت، الخافض الرافع، الضار النافع. قال الله تعالى: ﴿قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إنْ أَنَا إلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف ١٨٨].

(ب): والإيمان يبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام، واحتقار الموت، والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلاَّ بِإذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران ١٤٥].

(ج): والإيمان يقتضي الاعتقاد بأَنَّ الله هو الرزاق، وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يردّه كراهية كاره. قال الله تعالى:﴿ومَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود ٦].

(د): والطمأنينة أثر من آثار الإيمان: أي طمأنينة القلب، وسكينة النفس. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد ٢٨].

(هـ): والإيمان يرفع من قوى الإنسان المعنوية، ويربطه بمثل أعلى، وهو الله مصدر الخير والبر والكمال، وبهذا يسمو الإنسان عن الماديّات، ويرتفع عن الشهوات، ويستكبر على لذائذ الدنيا. وهذا هو السر في اقتران العمل الصالح بالإيمان.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس ٩].

(و): والحياة الطيبة يعجّل الله بها للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة، وتتمثَّل هذه الحياة في ولاية الله للمؤمن، وهدايته له، ونصره على أعدائه، وحفظه مما يُبيَّت له، وأخذه بيده كلّما عثر، أو زلَّت به قدم، فضلاً عمَّا يفيضه عليه من متاع مادي يكون عوناً له على قطع مرحلة الحياة في يسر.

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل ٩٧].

ويشمل الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، وفي الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ، والذي فيه أن جبريل جاء على صورة رجل وسأل النبي عليه الصلاة والسلام عدة أسئلة منها:

قال: - أي جبريل - فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

وسنتحدث عن شعب الإيمان هذه، فنقول:

١ - الإيمان بالله تعالى:

الإيمان بالله تعالى يعني اليقين بوجوده سبحانه،

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

والاعتراف بذاته، والقبول عنه، والطاعة له في كل ما شرع وما أوجب.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة ٢٨٥].

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء ١٣٦].

والإيمان بالخالق ـ كما قدَّمنا في الفصل الأول من هذا الكتاب ـ حقيقة ثابتة، وشعور فطري يُعرف عن طريق العقل وصفات الله سبحانه وتعالى. وتكفي نظرة متأملة إلى هذا الكون الذي نحيا فيه لكي نستدل على وجود الخالق ووحدانيته وعظمته المطلقة[١].

وقد جاءت الرسالة المحمدية لإرساء قواعد الإيمان بالله، ودعوة الناس للنطق بالشهادتين. قال رسول الله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله تعالى[٢].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة﴾[٣].

---

(١) انظر كتاب «كبرى اليقينيات الكونية» للشيخ سعيد رمضان البوطي لتدرك أن الله تعالى حقيقة ثابتة لا يتطرق إليها الشك ﴿**أفي الله شك فاطر السموات والأرض**﴾ [إبراهيم ١٠].

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

٢ ـ الإيمان بالملائكة:

قال الله تعالى مثبتاً ضلال من يكفر بالملائكة:

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء ١٣٦].

والحكمة من وجود الملائكة وضرورة الإيمان بهم أن الله عز وجل أرسل الرسل لهداية البشر، وأرسل الملائكة لإخبار الرسل برسالة ربهم وشريعته الغرّاء. قال الله تعالى:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل ٢].

والملائكة مخلوقات من نور، وهم معنا لكننا لا نراهم، ومن صفاتهم: الطاعة لله تعالى، ومبادرتهم لامتثال أمره، فهم معصومون عن ارتكاب المعاصي. كذلك فهم مقرَّبون إلى الله عز وجل، يسبحونه ولا يستكبرون عن عبادته.

وهم أيضاً لا يتناكحون ولا يتناسلون، ولم يُخْلَقوا من رحم ولا صُلب، ومنهم رسلٌ أُرسلوا للأنبياء لتبليغهم شريعة الله.

وقد خلقهم الله تبارك وتعالى قبل خلقه آدم، وأعدادهم كثيرة وأصنافهم متعددة، ولهم وظائف، منها:

أ ـ تبليغ الأنبياء برسالات السماء.

ب ـ حمل العرش والحفّ حوله.

ج ـ مراقبة أعمال المكلفين وتسجيلها.

د ـ حفظ المؤمن من كل الشرور.

وغير ذلك من الوظائف المكلَّفين بها.

٣ ـ الإيمان بالجن:

الجنُّ مخلوقات غيبية عن أنظارنا، ووجودهم ثابت بشكل قاطع، قال الله تعالى:

﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

وقد خلقهم الله تعالى من مارج من نار، أي من أخلاط نار صافية، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِن نَارٍ﴾ [الرحمن ١٥].

وهم مخلوقون قبل الإنس، ويتناسلون فلهم ذرّية، وهم مكلّفون بالإيمان والعبادة، ويتوزَّعون في قسمين: فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون، وسيحشرون يوم القيامة ليحاسبوا على أعمالهم، فيُثابون أو يُعاقبون.

وليس للجن سلطان على الإنس في عقائدهم وإرادتهم وأعمالهم. قال الله تعالى: ﴿إنَّ عِبَادي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر ٤٢].

وثمة أمر مهم ينبغي الإشارة إليه وهو أن الجن لا علم لهم بالغيب بدليل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [الجن ٢٦ ـ ٢٧].

٤ ـ الإيمان بالأنبياء والرسل:

تعني لفظة النبي: اصطفاء الله تعالى عبداً من عباده بالوحي إليه. أما الرسول: فهو النبي المكلَّف من قبل الله تعالى بتبليغ شريعته لِخَلْقه.

وقد أرسل الله عز وجل الأنبياء والرسل لهداية البشر من ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين، وتبليغهم أوامر الله ونواهيه، وما أعدَّه عز وجل لعباده من الثواب والعقاب.

ويحتاج الناس للرسل لأنهم من غير تنبيه سيبقون عرضة للضلال والتِّيه، وهم كذلك لا يستطيعون بأنفسهم التوصل إلى الفضائل بسبب هيمنة الغرائز والشهوات.

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بَالقِسْطِ﴾ [الحديد ٢٥].

ومن حق الله تعالى على العباد أن يؤمنوا بالرسل، وما جاؤوا به من عند الله عزَّ وجلَّ.

٥ ـ الإيمان بالكتب السماوية:

قال الله تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ يأمره أن يعلن إيمانه بجميع الكتب التي أنزلها الله: **﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ﴾** [الشورى ١٥].

وقال الله تعالى يخاطب المؤمنين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي

نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ والَكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء ١٣٦].

والكتب السماوية التي ينبغي الإيمان بها هي: القرآن الكريم، وصحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والتوراة، والزَّبور، والإنجيل.

وتشترك هذه الكتب السماوية بأصول العقيدة وهي التوحيد وطاعة الله وعبادته، والشهادة لمحمد ﷺ بأنه رسول الله، والحث على الجهاد بالنفس والمال والتنويه بأصحاب محمد، وذكر طائفة من صفاتهم.

وقد أنزل القرآن الكريم مصدِّقاً لما قبله من الكتب السماوية، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ [المائدة ٤٨].

وقد أُنزلت هذه الكتب السماوية لحاجة الناس إليها، فتكون هي مرجعهم في حياتهم، تعرِّفهم على الخير والفضيلة، وتأخذ بأيديهم إلى جادة الحق والصواب.

٦ ـ الإيمان باليوم الآخر:

خلق الله تعالى الإنسان في الحياة، وأعطاه صفات تؤهّله للاختبار والابتلاء، كالإرادة والعقل والقدرة، فليست الحياة عبثاً ولا سُدى دون هدف، قال الله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون ١١٥].

وقال تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [الإنسان ٢].

وفي الحياة خير وشر، وفضيلة ورذيلة، ويختار الإنسان بمحض إرادته أحد الطريقين، ويتحمل المسؤولية بذاته، فلا بد من يومٍ آخر يلقى فيه الخيِّر ثواباً، والشرير عقاباً.

قال الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم ٥١].

فالإيمان باليوم الآخر تحقيق لفكرة العدل الإلهي المطلق والجزاء المؤجَّل، وله أيضاً ضرورة تتمثل في أن الله تعالى لا يضيع مثقال ذرة من خير أو شر، فالإنسان مسؤول عما يصدر عن سلوكه من فعل أو حركة أو تصرف.

وهناك في اليوم الآخر عرض وسؤال، وحساب وميزان، وكُتُبٌ للأعمال، وشهادة للجوارح على الإنسان بما قدَّم وحصَّل.

قال الله تعالى:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء ٤٧].

٧ ـ الإيمان بالقضاء والقدر:

القضاء: إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء، على وفق ما توجد عليه في وجودها الحادث. قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء ٢٣]، وقال عز وجل: ﴿فقضاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت ١٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة ١١٧].

والقدر: هو التقدير، وهـو جعل الشيء بالإرادة عـلى مقدار محدّد قبل وجوده ثم يكون وجودُه في الواقع بالقضاء على وفق التقدير، وذلك مثل إرادة الله إيجاد الإنسان ثم صورة هذا الإيجاد ومقاديره. والقضاء والقدر من أركان العقيدة الإسلامية، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الايمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبـه ورسله وتؤمن بالجنـة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقـدر خيره وشره»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بالقدر نظام التوحيد»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن»[3].

---

(١) رواه البيهقي.
(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس.
(٣) رواه الحاكم في تاريخه والقضاعي.

وقال ﷺ:

«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدرة»[1].

والإيمان بالقضاء والقدر يهب القلب البشري الطمأنينة لكل ما يجري في الكون مما لا كسب له فيه، والرضا بمراد الله تعالى في ذلك، مهما كان الأمر فيه حزن أو مسرة.

---

(١) رواه الترمذي.

حق الله تعالى على العباد

خَلَق الله تعالى الإنسان، ودبَّر أمره، وأعطاه عقلاً مميِّزاً، وإرادةً تـدفعه للمضي في طـريق الحياة، للقيـام بحقِّ الله عزَّ وجلَّ، وهو العبادة.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَـدُوٌّ مُبِـينٌ * وَأَن اعْبُـدُونِي هَـذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس ٦٠ ـ ٦١].

وقد أرسل الله سبحانه الرسل ليدعوا الناس إلى عبادة خالقهم، وتذكيرهم بالهـدى والاستقامـة، ولا عجب أن كان النداء الأول لكل رسول: ﴿يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف ٥٩].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل ٣٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٢٥].

وقد أمر الله تعالى الأنبياء بالعبادة، فقال الله لنبيّه محمد ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر ٩٩].

وقـال عزَّ وجـلَّ في عيسى عليه الصـلاة السلام: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لله وَلاَ الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ

يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾ [النساء ١٧٢].

فالإنسان مخلوق من أجل العبادة، بدليل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

ولكن ما هي العبادة؟ ما حقيقتها؟ وما مجالاتها؟

● **معنى العبادة:**

أصْلُ العبادة: التذلّل والخضوع والاستكانة، فمفهومُ العبادة إذعانُ المرء لله عزَّ وجلَّ وترك كل عصيان، والانقياد له، مع الاعتراف بفضله ونِعَمِهِ وعلوّ شأنه، إضافة إلى الشكر والحمد، والتمجيد والتحميد.

وتعني العبادة أيضاً: الطاعة لله تبارك وتعالى، والاستسلام لشرعه ومنهاجه القويم.

وثمة فرق بين العبادة القسرية والعبادة مع الرغبة والمحبة، فالدين يعني الخضوع والذُّل وعبادة الله وطاعته والخضوع له. لكن العبادة المأمور بها تحمل مع الخضوع للرب تعالى المحبة والرغبة فيتعلَّق القلب البشري بخالقه، التزاماً بشرع الله، وانطلاقاً من الاعتراف بكرم الله وفضله، ورزقه، ونعمة استخلافه الإنسان في الأرض.

ومن كان محبّاً لله عز وجل لزمه أن يتبع رسوله فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، فقد جعل الله لأهل محبَّته سمتين: الأولى: اتِّباع الرسول، والثانية: الجهاد في سبيله، فقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة ٢٤].

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(١).

وجاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والله لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شي إلا من نفسي. فقال: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكونَ أَحبَّ إليك من نفسك» فقال: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمرُ»(٢).

فخاصيَّةُ التعبُّد هي الحب مع الخضوع، والذل للمحبوب، قال أحد العلماء:

«وأصل دعوة جميع الرسل عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم: إنما هي عبادة الله وحده لا شريك له؛ المتضمِّنة لكمال حبه، وكمال الخضوع والذل له، والإجلال والتعظيم، ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى. وأصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحبُّ كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه».

وعن عمر رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب ابن عمير مُقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطَّق به، فقال النبي

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي نوَّر الله قلبه. لقد رأيتهُ بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله إلى ما ترون»[1].

وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله؛ متى الساعة؟ قال: «ما أعددت لها؟» فقال: ما أعددتُ لها كثير صلاة ولا صيام؛ إلا أنني أحب الله ورسوله. فقال له رسولُ الله ﷺ: «المرء مع من أحب». قال أنس: فما رأيتُ المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك[2].

وبذا نعلم أنَّ العبادة تعني الخضوع لله عزَّ وجلَّ مع محبّته تعالى.

● **مجالات العبادة:**

للعبادة في الإسلام مجالات رحبة وأفق واسع، فهي تتضّمن الفرائض وكل ألوان التعبّد، فيما يتعلق بالدين والحياة كلّها، وفي ظاهر الإنسان وباطنه.

وقد سُئِل أحدُ العلماء عن العبادة فقال:

«العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية.

(٢) متفق عليه.

والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة. . .

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله».

فهذه هي العبادة في الإسلام تشمل الفرائض والأركان وحسن المعاملة والأخلاق والأعمال الاجتماعية النافعة، وبذلك يكون الدين قد فتح للعبادة مجالات رحبة، ووسع من شمولية إطارها وقطر دائرتها. وسنحاول في الصفحات التالية أن نتحدث عن بعض عبادات الإسلام، وندرك ما فيها من حقٍ لله تعالى على عباده.

١ ـ الصلاة:

اهتمَّ الإسلام بفريضة الصلاة، وشدَّد عليها، وأكدَّ على ضرورتها، وحذَّر من تركها، فهي عمود الدين، وأفضل الأعمال، ودعاء إبراهيم الخليل في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾ [إبراهيم ٤٠].

وقد مدح الله تعالى إسماعيل فقال عز وجل: ﴿**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً**﴾ [مريم ٥٥].

والصلاة هي أول أمر قاله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ**

﴿إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [طه ١٣ ـ ١٤].

وقد وصَّى لقمان ابنه بالصلاة: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان ١٧].

والصلاة دليل فلاح المؤمنين، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون ١ ـ ٢].

والصلاة لا تسقط في حالٍ من الأحوال، سواءً أكان في الحل أو في الترحال، في الأمن أو الخوف، في الحرب أو السلم، فقال عز من قائل:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾ [البقرة ٢٣٨ ـ ٢٣٩].

والصلاة فرض على المؤمنين لقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ [النساء ١٠٣].

وقد أنذر تعالى من يسهو عن الصلاة، فقال:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون ٤ ـ ٥].

وقال رسول الله ﷺ:

«إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[1].

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«ما من امرىء مسلم تحضره صلاةٌ مكتوبة، فيُحسِن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يأتِ كبيرة وذلك الدهر كله»[1].

وقال ﷺ:

«من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله»[2].

وهذا يُبيِّن أهمية الصلاة ومكانتها في الدين.

وقد أمرالله سبحانه وتعالى الناس بالصلاة لإقامة ذكره عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [طه ١٤]، وإلى ذلك أشار عليه السلام بقوله: «إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع، وتضع يديك فتقول: اللهم اللهم، ممن لم يفعل فهي خداج»[3] - أي ناقصة -.

ويؤكد القرآن الكريم على ضرورة حضور القلب في الصلاة، بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء ٤٣].

وكان رسول الله ﷺ يقول: «أرحنا بها يا بلال»[4].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان.

(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن خزيمة.

(٤) متفق عليه.

فالصلاة راحة للنفس، وأنس بالله، وتجديد للعلاقة بين العبد ومولاه، في مناجاةٍ وتضرع، لا كما يفعله بعضُ الجهلة، إذ يسرعون في صلاتهم فينقرون كما ينقر الدِّيكُ الحَبَّ!

ويمكن أن نشير إلى بعض فوائد الصلاة وحكمها، فمن ذلك:

أ ـ غسل الذنوب والخطايا:

قال رسول الله ﷺ:

«أرأيتم لو أنَّ نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسَ مرات، فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟» قالوا: لا. قال: «كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا»[1].

فالصلاة تمحو الذنوب، وتزيل الهفوات، وتحتُّ السيئات، وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ عندما كان معه الصحابي سلمان الفارسي تحت شجرة، فأخذ رسول الله ﷺ منها غصناً يابساً، فهزَّه حتى تحاتَّ ورقُه، ثم قال: «يا سلمان، ألا تسألني لم أفعل هذا؟» قال سلمان: ولم تفعله؟ قال: «إن المسلم إذ توضَّأ فأحسن الوضوء، ثم صلَّى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه، كما تحات هذا الورق»[2].

والذنوب كالنار تحرق النفس، وتلفح القلب، وتؤثر على نفسية الإنسان بآثارها، وتأتي الصلاة تطفىء احتراق القلب، وتخمد نار الخطايا، يقول عليه الصلاة والسلام:

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والنسائي والطبراني.

«تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا تُكتب عليكم حتى تستيقظوا»[1].

وإضافة إلى أثر الصلاة في تكفير الخطايا، فإنها تجلب للإنسان أجمل لحظات الأنس بالله، وأسعد أوقات المناجاة للخالق تبارك وتعالى، فتصفو النفس، ويرتاح القلب في شفافية وضَّاءة، وكأن بالمصلي يسمع مولاه في حديثه القدسي:

«قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله عز وجل: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[2].

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه مسلم.

ب ـ نظافة الجسم وجمال الروح:

يُشترط في صحة الصلاة الوضوء، وهو طهارة للبدن، كذلك يشترط طهارة الثوب من كل خبث، وقد أوجب تعالى غسل الأعضاء قبل الصلاة؛ فقال عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة ٦].

وقد دعا رسول الله ﷺ إلى النظافة، فقال: «إن الله طيّب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة»(١).

وأمر النبي عليه السلام بالسواك عند كل صلاة فقال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»(٢).

كذلك فقد أُمِر المسلم بأخذ الزينة عند الصلاة، فقال عز وجل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف ٣١].

ج ـ الصلاة قوة روحية وحاجة نفسية:

ففي الصلاة يدعو الإنسان ربه، ويتصل بخالقه، ويُفضي إليه بذات مشاعره وحاجاته، كما يشكو نجواه ويبث أحزانه إلى الله سبحانه وتعالى، مما يخفّف وطأة الحياة وثقل المتاعب والمصاعب.

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن حبان وابن ماجه والحاكم والبيهقي.

وإذا بالمؤمن في اتِّصاله الخاشع مع مولاه يحسّ بالسكينة ويشعر بالطمأنينة، وأنه في حضرة الخالق القوي الرحيم، مما يبعث في النفس كل الحيوية والنشاط، يقول النبي ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقُدْ. فإن استيقظ فذكرَ الله انحلَّت عُقدة، فإن توضَّأ انحلَّت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيِّب النفس، وإلاَّ أصبح خبيث النفس كسلان»(١).

وهذا النشاطآت من سرور الإنسان بما وفقه الله له من الطاعة، وبما وعده من الثواب، وبما زال عنه من عقد الشيطان.

د ـ الصلاة قوة بدنية:

من جوانب الصلاة الحركات في الوقوف والركوع والسجود، وانتصاب الساقين، واستواء الظهر، والقيام والقعود، كل ذلك يفيد الجسم، ويدعو إلى اليقظة والنشاط.

ثم «إن الرياضةَ المعتدلةَ ـ والصلاةُ عند المسلمين أفضلُها ـ ضروريةٌ جداً في الحياة، وواسطة حسنة لتمام الصحة، ولا تقتصر فائدتها على نظافة البدن بالوضوء السابق لها وعلى الأعمال الآلية في البدن فحسب؛ بل تفيد في تنشيط كثيرٍ من الأعضاء والأجهزة للقيام بوظائفها حقَّ القيام، بل يكون لها تأثير حسن جداً في الأعمال الفكرية أيضاً تصديقاً لما يُقال من أنَّ العقل الصحيح في الجسم الصحيح.

---

(١) رواه البخاري.

ولذلك يكون المتروِّض بالصلاة ـ لما فيها من حركات بدنية ومعاني نفسانية جسيمة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ـ صحيح الجسم، قوي الإرادة، حسن الاعتماد على نفسه، جلداً على الطوارىء، أكظم لغيظه، وأضبط لنفسه عند الغضب أو الخطر. ويكون كذلك أحزم وأشجع وأعلى نظراً في الحياة، كريماً محبّاً للخير والنفع العام.

لهذه النتائج الحسنة كانت الرياضة واجبة على كل إنسان، وكانت الصلاة فرضاً على المسلمين طول الحياة».

هـ ـ الصلاة تقوِّي الأخلاق:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت ٤٥].

وهذا يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي مواظبتها تحمل على ترك ذلك. وقد جاء في الحديث: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً»[١].

وتشتمل الصلاة على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الأكبر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت ٤٥].

فالصلاة فيها ثلاث خصال: الإخلاص والخشية وذكر الله.

فالإخلاص: يأمر الإنسان بالمعروف.

والخشية: تنهاه عن المنكر.

(١) رواه الطبراني.

وذكر الله: القرآن، ينهاه ويأمره.

كذلك فإن الصلاة تغرس في الإنسان مراقبة الله عز وجل، والدقة والنظام، وتقوي الأخلاق، وتتغلب على النواحي السلبية في النفس الإنسانية. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج ١٩ - ٢٣].

مزايا صلاة الجماعة

إن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد، فهي متفوقة عليها في الأجر والثواب. يقول رسول الله ﷺ:

«صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفَذِّ بسبع وعشرين درجة»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضَّأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد؛ لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطّ عنه بها خطيئة، فإذا صَلَّى لم تزل الملائكة تُصلِّي عليه ما دام في مصلاّه ما لم يحدث؛ اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه. ولا يزال في صلاةٍ ما انتظر الصلاة»[٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وقد فُضِّلت صلاة الجماعة على صلاة الفرد لأمور كثيرة، منها:

إجابة المؤذن بنيّة الصلاة في الجماعة، والتبكير إليها في أول الوقت، والمشي إلى المسجد بالسكينة، ودخول المسجد داعياً، وصلاة التحية عند دخوله كل ذلك بنيّة الصلاة في الجماعة، وانتظار الجماعة، وصلاة الملائكة واستغفارهم لمصلِّي الجماعة، وشهادتهم له، وإجابة الإقامة، والسلامة من الشيطان حين يفرّ عند الإقامة، والوقوف منتظراً إحرام الإمام أو الدخول معه في أي هيئة وجده عليها، وإدراك تكبيرة الإحرام كذلك.

ومن فوائدها أيضاً: تسوية الصفوف وسدّ فرجها، وجواب الإمام عند قوله: سمع الله لمن حمده، والأمن من السهو غالباً، وتنبيه الإمام إذا سها بالتسبيح أو الفتح عليه، وحصول الخشوع والسلامة عمّا يُلهي غالباً، وتحسين الهيئة، واحتفاف الملائكة به، وإظهار شعائر الإسلام، وإرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل، والسلامة من صفة النفاق، والانتفاع بالاجتماع على الدعاء والذكر، وقيام نظام الألفة بين الجيران وحصول تعاهدهم في أوقات الصلوات.

فهذه خمس وعشرون خصلة في فضل صلاة الجماعة(١).

وقد حذَّر رسولُ الله ﷺ الذي لا يجيب النداء، فقال: «والذي نفسي بيده، لقد هممتُ أن آمُرَ بحطبٍ

---

(١) انظر: فتح الباري(٢/١٣٣- ١٣٤).

فيُحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذّن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجالٍ فأحرِّق عليهم بيوتهم. والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عِرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء»[١].

وقد استحقَّ هؤلاء التحريق بترك صفة من صفات الصلاة خارجة عنها.

ويجتمع المسلمون على نطاقٍ أوسع في صلاة الجمعة، التي نصَّ الله تعالى على وجوبها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة ٩].

وأشار رسولُ الله ﷺ لفضل صلاة الجمعة، فقال:

«من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة، فاستمع وأنصت، غُفِر له بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاث أيام»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[٣].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهَّر ما استطاع من

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

طُهْر، ويدَّهن من دُهْنه، أو يَمَسُّ من طيب بيته، ثم يَخْرج فلا يُفرِّق بين اثنين، ثم يصلي ما كُتب له، ثم يُنْصِتُ إذا تكلم الإمام. إلا غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[1].

ثم يتَّسع نطاق اجتماع المسلمين في العيدين، عيد الفطر وعيد الأضحى، عندما يجتمع أهل البلد في المسجد، رجالاً ونساءً، فعن أم عطية قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق والحيض وذوات الخدور، فأمَّا الحُيَّض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «لتُلبسها أختها من جلبابها»[2].

ففي الجماعة تربية وتعارف، وتعليم ونظام، وإخاء ومساواة، ودروس جليلة تجعل الحياة جديرة بأن تُعاش.

٢ ـ الزكاة:

الزكاة هي العبادة المالية الاجتماعية في الإسلام، وقد ذُكرت في القرآن بلفظ الزكاة والصدقة والإنفاق، وقُرنت مع الصلاة في عشرات المواضع، وذلك لأهميتها وآثارها الإيجابية.

فالزكاة نماء للمال وتزكية له، وبثٌّ لروح التراحم في المجتمع، ونزع الغل والحقد من صدور البائسين، ثم هي تزكية وتطهير للروح من ظاهرة البخل والحرص على كنز المال.

قال الله تعالى في الحثِّ على الزكاة:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة ٣].

وقال عزَّ من قائل:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة ١١٠]..

وقال عز وجل:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون ١ - ٤].

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أهمية الزكاة، فهي ركن من أركان الإسلام، فقال عليه الصلاة والسلام:

«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دُلَّني على عملٍ إذا عملتُه دخلتُ الجنة؟ قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه، فلمَّا ولَّى قال النبي ﷺ

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرها.

«مَنْ سَرَّه أَن يَنْظُرَ إلى رجل من أهل الجَنَّة فلينظر إلى هذا»[1].

وقد حذَّر الله تعالى الذين لا يؤدون الزكاة، ويبخلون بأموالهم، ولا يعطونها للمستحقين، فقال سبحانه:

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرونَ﴾ [فصلت ٦ - ٧].

وقال عزَّ وجلَّ:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة ٣٤ - ٣٥].

كذلك فقد حذَّر رسول الله ﷺ من عدم تأدية الزكاة، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدْر الذي يَسَعُ فقراءهم، ولن يُجْهَدَ الفقراءُ إذا جاعوا وعَروا إلاّ بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإنَّ الله يُحَاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربَّنا ظلمونا حقوقنا التي فَرضْت لنا عليهم، فيقول الله عز وجل: وعزَّتي

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني.

وجلالي لأُدْنِيَنَّكم[1] ولأُباعِدَنَّهُمْ. ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالَمحْرُومِ﴾ [المعارج ٢٤ - ٢٥][2].

والإنسان خليفة الله تعالى في الأرض، والمؤتمن على النِّعم، فعليه أن يُنفق دون بخل، وأن يعطي دون أن يغلبه سلطان المال وشهوة الحِرْص.

وملكية الإنسان للمال ملكية مقيَّدة، فهي ترتبط بالكسب الحلال والإنفاق الحلال، وهي ملكية تصرُّف مشروط بحُسن القيام، والانتفاع الصالح، لذا فإن السفيه يُجرَّد من المال لقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ [النساء ٥].

ولو حاولنا استعراض فوائد الزكاة لوجدناها تتمثَّل فيما يلي:

أ ـ الزكاة عبادة مالية:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة ١١٠].

فإيتاء الزكاة عبادة لله عز وجل، واستجابة لندائه سبحانه، وهذا ما يميِّزها عن الضريبة في النُّظم المادية الأخرى، هي ضريبة وعبادة في آن واحد.

وقد أوصى رسولُ الله ﷺ دافع الزكاة أن يقول عند

(١) لأدنينكم: لأقربنكم من النعيم ولأحفنكم برضاي.

(٢) رواه الطبراني.

أدائها: «اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرماً»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«ثلاث من فعلهُنَّ فقد طَعِم طَعْم الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إلـه إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيّبة بها نفسُه»[2].

وهكذا نجد أن الـزكاة عبـودية لله، وامتثـال لفرائضـه المأمور بها، ففيها توجه كريم للتحرر من عبودية المال، ودفعه إلى المحتاجين والمعوزين.

ب ـ تهذيب النفس:

قال الله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة ١٧٧].

فالزكاة تُهذِّب النفس من الشح البغيض، وتطهِّرها من الجشـع والأثرة، وتُنمي فيهـا الأريحية، والخـروج من قـوقعـة الذات إلى رحاب الإحساس بالآخرين، وضرورة أن يحيا المرء للنـاس وللمجتمع، وعنـد ذلـك تـطهـر النفسُ من أدرانها، وتتخلص من سُخط الله عز وجل، لأن أصحاب اليمين: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر ٤٠ ـ ٤٤].

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود.

ج ـ إعانة الضعفاء وكفاية المحتاجين:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج ٢٤ ـ ٢٥].

فالذي يدفع الزكاة فإنه يسهم في إغاثة الفقراء، وسدّ حاجة كل محتاج، فإن فعل المسلمون ذلك، وأدوا زكاة أموالهم فإنهم يعيدون على أسماعنا صورة المجتمع الذي بناه عمر بن عبد العزيز حينما اهتمَّ بتوزيع الزكاة على مستحقِّيها فلم يبق محتاج. ولنسمع ما يقوله يحيى بن سعيد:

«بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها وطلبتُ فقراء نُعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً، ولم نجد من يأخذها مني، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريتُ بها رقاباً فأعتقتهُم، وولاؤهم للمسلمين»(١).

وقال رجل من ولد زيد بن الخطاب:

«إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً، فذلك ثلاثون شهراً، فما مات حتى جعل الرجلُ يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فما يجده، فيرجع بماله. قد أغنى الله على يد عمر بن عبد العزيز الناس»(٢).

د ـ الزكاة طهارة للمال:

تُعتبر الزكاة طهارة للمال بدليل قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص (٦٩).
(٢) المصدر السابق ص (١٢٤ ـ ١٢٥).

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ بِهَا وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة ١٠٣].

وفي هذا طهارة للنفس وللمال وللمجتمع.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«إذا أدَّيْتَ زكاة مالك فقد أذهبتَ عنك شرّه»[١].

وقال ﷺ:

«حصِّنوا أموالكم بالزكاة»[٢].

ولشد ما يحتاج الأغنياء إلى تحصين أموالهم بدفع حق الله منها، وإنقاذ المعوزين وأصحاب الحاجات.

هـ ـ الزكاة نماء للشخصية:

فالغني عندما يدفع فضول ماله، ويقدِّم الخير، ويصنع المعروف، يُحسّ بنمائه النفسي، وأنه عضو فعال في المجتمع، وعنصر نافع، يحس بإحساس المظلومين والفقراء، فالزكاة انتصار على الضعف والأثرة والشح.

كذلك الفقير يشعر أَنَّ هناك من يذكره، فلا يُترك للفقر ينهش حياته، وينخر في أنحاء أسرته، فيُحِسُّ بالأمان والراحة النفسية.

وحبَّذا لو قامت الدولة بدفع الزكاة عوضاً عن إعطاء

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه أبو داود في المراسيل والطبراني.

الغني للفقير مباشرة، ليتخلَّص الفقير من المنّ والأذى في بعض المواقف المحرجة.

و ـ الزكاة ضمان اجتماعي:

إنَّ المجتمع المسلم كتلة شعورية متماسكة، كل فرد يحسُّ بمشاعر الآخرين، ويستشعر آلامهم، ويقضُّ مضجعه ما يؤلمهم ويوجعهم، فتأتي الزكاة تنمية للروح الاجتماعية، وتحقيقاً لقول النبي ﷺ:

«مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى»(١).

وبالتالي يتطهر الفقير من حسد الغني الكانز لمال الله عن العباد ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة ٢ ـ ٣].

والإحسان يقرِّب النفوس، ويؤلِّف بين القلوب، ويملأ أفئدة المحرومين بالحب والوداد.

ز ـ الزكاة تكفِّر الذنوب وتدفع البلاء:

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الأعراف ١٥٦].

وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

«إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء»[1].

وقال ﷺ:

«إن الصدقة لتطفىء عن أهلها حرّ القبور»[3].

وفي هذا محو للذنوب، ورحمة من الله عز وجل، فمجتمع الزكاة مجتمع مرحوم فيه الحماية والاطمئنان.

ح ـ الزكاة علاج لمشكلة الفقر:

يشكل الفقر مسألة صعبة في المجتمع، تتطلب حلاً، لعلاجها واستئصالها قال رسول الله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[3].

وتأتي الزكاة حلاً جذرياً للفقر، ذلك المرض الاجتماعي الخطير، فتتم معالجته والقضاء عليه قضاءً مُبرماً لا سبيل لعودته من جديد، فليست الزكاة كمية قليلة من المال تُعطى للمحتاج تكفيه يوماً أو شهراً، لكنها إعطاء له حتى الكفاية، قال عمر بن الخطاب: «إذا أعطيتم فأغنوا»[4].

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو سوء حاله، فأعطاه ثلاثاً من الإبل؛ وما ذلك إلا ليقيه من العَيْلة، والإبل كانت

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية.

(٤) الأموال للقاسم بن سلام ص (٧٤٨).

أنفع أموالهم وأنفسها حينذاك، وقال للموظفين الذين يعملون في توزيع الصدقات على المستحقين: «كرِّروا عليهم الصدقة وإن راح على أحدهم مئة من الإبل»[١].

ويجوز للفقير أن يأخذ من الزكاة لشراء كتب العلم التي لا بد منها لمصلحة دينه ودنياه[٢].

وإذا كانت أموال الزكاة وموارد الدولة تكفي لتحقيق مستوى لائق للفقراء من حصيلتها فبها ونعمت، وكفى الله المؤمنين أن يُطالبوا بحق آخر للفقراء، وإذا لم تكفِ أموال الزكاة والموارد الأخرى في القضاء على الفقر وإغناء الفقراء، فإنَّ حقاً على الأغنياء القادرين أن يقوموا متضامنين بكفايتهم، كل في حدود أقاربه وجيرانه ومن يتَّصل به، فإذا قام بعضهم بدافع إيمانهم إلى أداء هذا الواجب بحيث كُفي المحتاجون حاجتهم، فقد سقط الإثم عن الباقين، وإلاَّ فإنَّ لوليّ الأمر أن يتدخل ويرتب في أموال الأغنياء ما يقوم بالضعفاء والفقراء[٣].

ط ـ الزكاة إعادة لمجد الإسلام:

يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار (١٠/٥٩٧ ـ ٥٩٨):

«إن الإسلام يمتاز على جميع الأديان والشرائع بفرض الزكاة فيه، ولو أقام المسلمون هذا الركن من دينهم لما وجد

(١) المصدر السابق ص (٧٤٩).
(٢) فقه الزكاة (٢/٥٦٩).
(٣) المصدر السابق (٢/٩٩٠).

فيهم فقير مدقع، ولا ذو غرم مفجع، ولكن أكثرهم تركوا هذه الفريضة، فجنوا على دينهم وأمتهم، فصاروا أسوأ من جميع الأمم حالاً في مصالحهم المالية والسياسية، حتى فقدوا ملكهم وعزّهم وشرفهم... فالواجب على دعاة الإصلاح أن يبدؤوا بإصلاح من بقي فيه بقية من الدين والشرف بتأليف جمعية لتنظيم جمع الزكاة منهم، وصرفها قبل كل شيء في مصالح المرتبطين بهذه الجمعية دون غيرهم. ويجب أن يُراعى في تنظيم هذه الجمعية أن لسهم «المؤلفة قلوبهم» مصرفاً في مقاومة الردّة والإلحاد. وأن لسهم «في الرقاب» مصرفاً في تحرير الشعوب المستعمرة من الاستعباد، إذا لم يكن له مصرف تحرير الأفراد، وأن لسهم «في سبيل الله» مصرفاً في السعي لإعادة الإسلام...

إلا أن إيتاء جميع المسلمين أو أكثرهم للزكاة وصرفها بانتظام كافٍ لإعادة مجد الإسلام، بل لإعادة ما سلبه الأجانب من دار الإسلام، وإنقاذ المسلمين من رقِّ الكفار، وما هي إلا بذل العشر أو ربع العشر مما فضل عن حاجة الأغنياء».

الزكاة في الواقع التاريخي

للزكاة في واقعها التاريخي سجلّ مشرف، دوّنه أولئك العظماء، حين أخذوا فضول أموال الأغنياء وردُّوها على الفقراء، فعاش المجتمع الإسلامي في بحبوحة وأريحية وتعاون.

قال رسول الله ﷺ: «فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تُؤخذ من أَغنيائهم فتردُّ في فقرائهم»(١) وقد أوصى النبي

(١) متفق عليه.

عليه الصلاة والسلام أصحاب الأموال بقوله: «لا يصدر المصدِّق عنكم إلا وهو راض»[1]. وقد عانى رسول الله ﷺ من الفقر، حتى أَثَّر الحصيرُ في جنبه، وقد دعا إلى الإنفاق وبذل المال، وإعطائه لمستحقيه، وبعث العمال على الصدقات حتى غطَّى الجزيرة العربية كلها، وما ذلك إلا تأكيداً منه عليه السلام في أهمية الزكاة وضرورة توزيعها.

وفي عهد أبي بكر الصديق ارتدَّ المرتدون، ومنعوا أداء الزكاة، فقاتلهم، وقال:

«والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاةَ حقُّ المال. والله لو منعوني عَنَاقاً[2] كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»[3].

وكان بيت المال في عهد أبي بكر في ضواحي المدينة بـ (السُّنْح)، وكان يُعطي منه حتى لا يبقى فيه شيء. وفي عهد عمر بن الخطاب تدفقت الأموال على المسلمين بكثرة بسبب انتشار الفتوح الإسلامية، وكان الخليفة العادل ينفق أموال الزكاة إلى المستحقين، وهو القائل:

السنة ثلاثمائة وستون يوماً وإن حقاً على عمر أن يكسح[4] بيت المال في كل سنة يوماً؛ عُذراً إلى الله عز وجل أني لم أدع فيه شيئاً[5].

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد.
(٢) «عناقاً»: هي الأنثى من أولاد المعز.
(٣) رواه البخاري والنسائي وأحمد.
(٤) «يكسح»: يكنس.
(٥) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص (٩١).

وفي عهد عثمان بن عفان بلغت موارد بيت المال شيئاً هائلاً، وكان خازن بيت المال زيد بن ثابت، وقد أمره مرَّة بتفريق ما في بيت المال على المستحقين، ففضل في بيت المال ألف درهم، فأمره أن ينفقها فيما يراه أصلح للمسلمين، فأنفقها زيد على عمارة مسجد رسول الله ﷺ.

وفي عهد علي بن أبي طالب قُسِّمت الأموال، ووزعت على المحتاجين، وجاءه ابن النباح ذات يوم فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر! فقام متوكئاً على ابن النبَّاح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال: يا ابن النباح عليَّ بأشياع الكوفة، قال: فنُودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا صفراء! ويا بيضاء! غُرّي غيري، حتى ما بقي منه دينارٌ ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلَّى فيه ركعتين[1].

وهكذا نجد أن الزكاة تحلُّ مشاكل الناس، وتمنع الأثرة، وتحرِّر المرء من الشح بالمال، فهي علاج أكيد لمشكلة الفقر والحاجة، وتاريخنا الإسلامي شاهد على صحة هذا القول.

٣ ـ الصوم:

الصوم ركن من أركان الإسلام، فيه إمساك عن كل شيء يُعتبر مفطراً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية. وهو فرض لقول الله عز وجل:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة ١٨٣].

---

(١) حلية الأولياء (١/٨١).

وقال تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة ١٨٥].

وقال رسول الله ﷺ:

«قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة[١]، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُث ولا يَصْخَب، فإن سابَّه أحد، أو قاتله، فليقل: إني صائم...»[٢].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إنَّ في الجنة باباً يُقال له الرّيان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اغزوا تَغْنَمُوا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا»[١].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: أسندتُ النبي ﷺ إلى صَدري، فقال:

«مَنْ قال لا إله إلا الله خُتِم له بها دخل الجنة، ومن

---

(١) «جُنَّة»: وقاية من الوقوع في الشهوات والمعاصي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

(٤) رواه الطبراني.

صام يوماً ابتغاء وجه الله خُتِم له بها دخل الجنة، ومن تصدَّق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتِم له به دخل الجنة»[1].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من عبد يصومُ يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعَدَ الله بذلك اليوم وجهَهُ عن النار سبعين خريفاً»[2].

وقد حذَّر رسول الله ﷺ من التهاون في حق الله تعالى في الصوم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهن أُسِّس الإسلام، مَنْ ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض، لم يقْضِه صومُ الدهر كلِّه، وإن صامه»[4].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.
(٣) رواه أبو يعلى والديلمي وصححه الذهبي.
(٤) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

«بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضَبْعَيَّ[1]، فأتيا بي جبلاً وعراً، فقالا: اصعد، فقلتُ: إني لا أُطيقُه، فقالا: إنَّا سنسهِّله لك، فصعدت حتى إذا كنتُ في سَواء الجبل إذا بأصوات شديدة. قلت: ما هذه الأصوات؟ قالا: هذا عواء أهل النار، ثم انْطُلِق بي، فإذا أنا بقوم مُعلَّقين بعراقيبهم، مشقَّقة أشداقهم، تسيل أشداقهم دماً، قال: قلت: من هؤلاء؟ قالا: الذين يفطرون قبل تَحِلَّة صومهم»[2].

والصوم سرٌّ بين العبد ومولاه، لا يطلع عليه إلا الخالق عز وجل، لذا قال تعالى في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»..

قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تُضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يُثيب عليه بغير تقدير.

وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر ١٠]، والصابرون هم الصائمون في أكثر الأقوال. وقال أبو عبيد في «غريبه»: بلغني عن ابن عينية أنه قال ذلك، واستدل له بأنَّ الصوم هو الصبر، يصبّر نفسه عن الشهوات.

والصوم خالصٌ لله عزَّ وجل، ولا يُعبد فيه غير الله، لذا قال عليه السلام: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له»[3]. والسبب

(١) «ضبعي»: مثنى، مفرده ضبع وهو ما تحت الإبط أو وسط العضد.

(٢) رواه ابن حبان وابن خزيمة.

(٣) رواه النسائي من حديث أبي أمامة مرفوعاً.

في ذلك أَنَّ سائر العبادات مما يطّلع العباد عليه، والصوم سرٌ بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصاً، ويعامله به طالباً لرضاه. ثم إن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال للبدن، والصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات[1].

وسنعرض لفوائد الصوم وما فيه من حِكَم كثيرة، نورد أهمها:

أ ـ الصوم تقوية للروح:

فرض الله تعالى الصوم ليتحرر الإنسان من سطوة الشهوات، وتسلُّط الغرائز، وينطلق من أسر الجسد محلِّقاً في رحاب النفس، مرتقياً في معارج الصوم؛ يحاول أن يكفِّر عن المعاصي بالطاعة، ويُلجم الشهوة بالامتناع والكف عن كل شيء يهيِّجها ويُثيرها.

والصوم جهاد النفس، وقد تكفَّل الله عز وجل بهداية المجاهدين فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت ٦٩].

كذلك فالصوم نصر على الذات، وتطهير لها من أدران المادية؛ لذا فإن الله تعالى ينصر هذا المنتصر على نفسه، قال تعالى: ﴿**إن تنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد ٧].

وليس عجيباً أن يُستجاب دعاء الصائم ما دام قد ارتقى

---

(١) انظر: فتح الباري(٤/ ١١٠).

بروحه، وسما بأخلاقه، فكان حريّاً أن يُجاب نداؤه، وفي هذا يقول النبي ﷺ:

«ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم»(١).

وفي الصوم كذلك قهر للشيطان، وقمع له، ومن هذا الوجه صار الصوم باباً للعبادة، وعَظُمت فضيلته، فبلغ الإنسان عالم الروحانيات، وعلا إيمانه، وشُحِن بالنقاء والطهر.

ب ـ الصوم مدرسة الصبر:

الصوم تربية للصبر في مدرسة رمضان، ففيه مجاهدة للنفس، واحتمال للجوع والعطش، وعفاف عن مجانبة الزوجة، فلا رقيب إلا الله، ولا سلطان إلا الإيمان، فيتعوّد المؤمن الصبر على الحرمان، وعدم الاهتمام بملذات الدنيا.

قال رسول الله ﷺ:

«صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر، يذهبن وحر الصدر»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام:

«لكلّ شيء زكاةٌ، وزكاة الجسد الصوم، والصوم نصف الصبر»(٣).

---

(١) رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان.

(٢) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي والبزار.

(٣) رواه ابن ماجه.

ففي الصوم يتغلب المسلم على المغريات، ويتحمّل مسؤولياته، مرابطاً في محراب الإيمان، متحملاً شظف العيش وقسوة الجوع وخشونة التحمُّل.

ج ـ الصوم تربية للأخلاق:

وذلك لأن الصوم يُعلِّم الصدق مع الذات، فالصائم لا يراه أحد إن أكل أو شرب ثم ظهر أمام الناس متشقق الشفتين، ممتنعاً عن المفطرات.

فلا رقيب إلا الله، لذا يتعود المسلم في رمضان الصدق، والصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة. كذلك يُعلِّم الصوم الأمانة، إذ يحفظ الصائم جوارحه من الوقوع في الآثام والموبقات، فيكون أهلاً لتحمل المسؤولية. قال الله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقن مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جهولاً﴾** [الأحزاب ٧٢].

وفي الصوم أيضاً تعوّد على الوفاء بالعهد، فالصائم يفي بعهده في صوم أيام معدودات، كذلك يفي الله عز وجل بعهده في أجر الصائم وتوفيته حسابه، يقول عليه الصلاة والسلام:

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ لَهُ ما تقدَّم من ذنبه»(١).

وحَسْبُ المؤمن هذا الأجر، تطهير ومغفرة.

---

(١) رواه الخمسة.

د ـ الصوم حثٌّ على الجود والسخاء:

من أسرار الصوم أن يحضَّ المؤمن على الكرم ومواساة الآخرين، فيذكر إخوانه المحرومين، ويستشعر آلام البائسين، بينما تكون مائدته عامرة بصنوف المآكل والمشارب، وغيره يتلوى من خصاصة الجوع!!

ففي الصوم رحمة وتآخٍ وعطاء للمحتاجين، وصَدَقَ رسولُ الله ﷺ في قوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء»[٢].

وكان النبي عليه الصلاة والسلام كريماً سخياً، وأجود ما يكون في رمضان، فإنه كالريح المرسلة في العطاء والصدقة والإحسان.

والذي يخشى الإنفاق من ماله، ويظن أن ذلك نقصاً، نذكِّره بقول رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»[٢].

وبقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ ٣٩].

هـ ـ الصوم مفتاح أبواب الخير:

في الصوم أبواب كثيرة للخير تُنادي كل مؤمن لينهل منها، حتى يكون من السابقين.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

خطبنا رسولُ الله ﷺ في آخر يوم من شَعْبَانَ قال: «يا أيها الناس: قد أظلَّكم شهر عظيم مُبارَك. شهر فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، جعل الله صيامَه فريضةً، وقيام ليله تطوعاً. مَنْ تَقَرَّب فيه بخَصْلَةٍ من الخير كان كمن أدَّى فريضة فيما سواه، ومن أدَّى فريضةً فيه كان كمن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهرٌ يُزاد في رِزْق المؤمن فيه. مَنْ فطَّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه، وعِتْقَ رقبته من النار، وكان له مثلُ أجره من غير أن يَنْقُصَ من أجره شيءٌ». قالوا: يا رسول الله، ليس كلّنا يجد ما يُفْطِر الصائم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «يُعطي الله هذا الثواب مَنْ فطَّر صائماً على تَمْرة، أو على شربة ماء، أو مَذْقَةِ لبن. وهو شهرٌ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عِتْقٌ من النار. من خفَّف فيه عن مملوكه غَفَر الله له، وأعتقه من النار، فاستكْثِرُوا فيه من أربع خصال: خَصْلَتَيْنِ تُرْضُون بهما ربكم، وخَصْلتين لا غناء بكم عنهما، فأمَّا الخصلتان اللَّتان تُرْضُون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شَرْبةً لا يظمأ حتى يَدْخُلَ الجنة»[١].

صوموا تصحُّوا

قال رسول الله ﷺ: «صوموا تصحّوا»[٢].

---

(١) رواه ابن خزيمة.

(٢) رواه الطبراني.

ففي الصوم فُرصة لإراحة المعدة وتقويتها، وتصفية الدم، وتخلُّص الجسم من فضلاته الضارَّة، فالصوم فترة راحة لجهاز الهضم الذي يعمل باستمرار على مدار السنة، ويتحمل جهداً كبيرة نتيجة تعقُّد الأطعمة وكثرتها. ويأتي رمضان ينظِّم الوجبات، ويُوصي بالاعتدال.

ويلعب الصوم دوراً في شفاء بعض الأمراض كالتهاب الأمعاء المزمن والتهاب الكولون، وبعض حالات التحسس، والسمنة وغير ذلك.

ويُطلب من الصائم حتى يستفيد من صومه الصحي أن يتناول وجبة خفيفة عند الإفطار، وأخرى عند السحور، دون إسراف ولا إفراط في تناول المأكولات والشراب، وإلاَّ تعرَّض للتخمة، وقد يُسْعَف إلى المشفى، ويتعرَّض لعملية غسل المعدة!! وهذا خروج بالمعنى الأساسي للصوم الذي فُرِض من أجل التدرُّب والصبر والتقشف، لا من أجل الإسراف والترف وإرباك المعدة، وتحميلها ثقلاً إضافياً فوق ما تتحمله في سائر الأيام.

كذلك فإن الصوم راحة للجهاز العصبي في جسم الإنسان، لما في هذا الشهر من صفاء الذات، وشروق الروح، والبعد عن الغضب والمشاتمة، وصدق التعامل، وأمانة العمل، وزكاء الأخلاق، إلى ما يصاحب ذلك من المودة والمحبة والسلام.

٤ ـ الحج:

الحج ركن من أركان الإسلام، وفرض تعبدي له حدوده

ومعالمه، حيث ينتقل المسلم من بلده إلى مكة المكرَّمة للطواف ببيت الله الحرام والتلبية والسعي ورمي الجمار وغير ذلك من شعائر الحج.

قال الله تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج ٢٧].

وقال عز وجل:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران ٩٧].

وقال تبارك وتعالى:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة ١٩٦].

وقال رسول الله ﷺ مشيراً إلى أن الحج من أركان الإسلام:

«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصَوْمِ رمضان، وحَجِّ البيت»[١].

ورُوي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«من لم يحبسه مرضٌ أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر، ولم يَحُجَّ فليمُتْ إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»[٢].

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رسولُ الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس قد فَرَضَ الله عليكم الحجَّ فحُجوا» فقال رجل: أكُلّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولَمَا استطعتم» ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»(١).

وسُئِل النبي ﷺ: أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حَجٌّ مبرور»(٢).

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ فلم يرفُثْ وَلم يفسُق، رجع كيوم ولدته أمه»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال: «لكِنْ أفضل الجهاد حَجٌّ مبرور»(٤).

وقال ﷺ:

«العُمرة إلى العُمرة كفَّارة لما بينها، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»(٥).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم، و«المبرور»: هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

والحج فريضة تقوم على التجرُّد لله والبساطة، في يسرٍ وسماحةٍ عُرِف بها الإسلام مع التزام الأصول العامة، وتأدية المناسك على أفضل وجه.

ويتطلب الحج إعداد الزاد وتحمل مشاق السفر مع اختلاف الأجواء، ومألوف الحياة، وأداء الشعائر في مواقيت محددة ونظام مُحكم دقيق؛ على أتمِّ ما تكون القوة والطاعة والنظام. بينما تتعالى أصوات الحجيج ملبِّين داعين: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وفي هذا النداء إعلان بقصد الحجاج وأنهم أطاعوا ربَّهم واستجابوا له في حج بيته، ولبُّوا دعوة النبي إبراهيم حين أذَّن في الناس بالحج. فهو عليه الصلاة والصلام لما فرغ من بناء البيت، قيل له: أذِّن في الناس بالحج، قال: ربِّ وما يبلغ صوتي؟ قال: أذِّن وعليَّ البلاغ. قال: فنادى إبراهيم: يا أيها الناس: كُتِبَ عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه مَنْ بين السماء والأرض(١).

وفي تلبية الحجاج تنبيه على إكرام الله تعالى لعباده بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاءٍ منه سبحانه وتعالى.

وفي ظلِّ هذه المشاعر والمعاني فرض الله تعالى الحج على كل مستطيع، وجعل الاستخفاف به كفراً، فقال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/٤٠٩).

لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٩٦ - ٩٧].

والحج عبادة فيها الامتثال لله عز وجل، ولها آثار عميقة في النفس الإنسانية والمجتمع والحياة، وتصدر عنها فوائد جمَّة يمكن الإشارة إلى بعضها فيما يلي:

أ - الحج نماء للروح:

وذلك أن الحاجّ يعزم على طاعة ربه، ويتحمَّل المشقَّات ليلبِّي الله تعالى، ويندم على المعصية، ويجدِّد التوبة، ويغذي عاطفة الحب لله وللرسول، فيشحن ذاته شحنات روحانية إيمانية فيَّاضة، فالأرض المقدسة لها مكانتها العظمى في نفوس المسلمين، وفيها ذكريات عزيزة، وشعائر عديدة توحي بقصة الذَّبح لإسماعيل، وتعرُّض الشيطان لسيدنا إبراهيم، وإصرار هذا النبي الكريم على مخالفة خطوات الشيطان وتنفيذ أمر الله تعالى.

وفيها أيضاً ذكرى بناء النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام للكعبة المشرفة، ونداؤه الناس بالحج، كذلك نذكر قصة زمزم والسيدة هاجر تسعى بين الصفا والمروة تبحث عن الماء. وكل هذا فيه ذكرى لمن اعتبر أو ألقى السمع وهو شهيد.

من أجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام:

«من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[1].

فتنمو روح الإنسان بمغفرة الله تعالى وترك السيئات ونبذ المعاصي.

ب ـ الحج جامعٌ للفرائض:

يجمع الحج بين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ـ بمعناها العام ـ والصوم تطوعاً أو فدية؛ لمن عجز عن أداء بعض شعائر الحج أو فاته شيء منها أو ارتكب بعض المحظورات.

قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة ١٩٦].

وقال عزَّ وجلَّ:

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة ١٩٦].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ [المائدة ٩٥].

كذلك فإن الحج يجمع الجهاد، لما يتطلبه السفر من زاد وإعداد وأطعمة ومخالفة للنفس وقوة وجَلَد.

---

(١) رواه البخاري وأحمد والنسائي.

ج ـ الحج تجرُّد ومساواة:

ففي الحج يتساوى الناس جميعاً، الغني والفقير، الأمير والأجير، فالكل يتجرَّد من الزينة والزخرف، ويلبس الجميع ثياباً بسيطة، فلا امتياز لأحد على أحد، ولا اختلاف بين الطبقات، فالجميع يسعى ويُلبِّي، ويطوف ويتضرَّع، ويقف على عرفات يقول: يا رب يا رب. لذا ففي الحج تسقط الأقنعة المزيفة، ويتكافأ الجميع، وتكون الميزة الأساسية هي التقوى والعمل الصالح.

والحجَّاج بثيابهم البيضاء تحسّ أنهم مجموعون ليوم الحشر، يوم عَرْض الأعمال، حيث تشخص الأبصار، فلا تفاضل ولا تمايز.

وقد كان أهل الجاهلية يفخرون بالأنساب ويتفاضلون بالأحساب، فجاء الإسلام ليضع النقاط على الحروف، ولنسمع قوله ﷺ:

«يا أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لافضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلّغتُ؟» قالوا: بلّغ رسول الله ﷺ [1]. ومن أجل هذا يتحرَّر الناس في الحج من قيود البشر، وأغلال الأنظمة الأرضية، وترجح كفة الإيمان، فكلٌّ حسب تقواه وعبوديته لله عز وجل.

---

(١) رواه أحمد.

د ـ الحج وحدة وتوحيد:

إن الوحدة ماثلة للعيان في الحج، كذلك التوحيد، ففي تلك الأيام الشريفة نلحظ وحدة المشاعر والشعائر، ووحدة الأهداف، حيث ينطلق الجميع من أسار الدنيا إلى حرية الدِّين، ومن أغلال المادية إلى صفاء الروحانية، فيسهل على النفوس أن تستظل بمبادىء الإسلام الأصيلة على اختلاف الأجناس والأقطار والألوان والألسنة.

كذلك نجد الوحدة في العمل والقول والحال، فلا إقليمية ولا تعصب ولا عنصرية، فالجميع يؤمن بربٍّ واحد، ويطوفون ببيت واحد، ويتبعون رسولاً واحداً، وينفذون أعمالاً واحدة، فهذه الشمولية في الوحدة تعني عودة الناس إلى فطرتهم السويّة، وعمق إحساسهم بأن الله تعالى قد خلق البشر للتعاون والاتحاد لا للحرب والتدمير.

هـ ـ الحج مؤتمر سنوي للمسلمين:

يلتقي المسلمون في الحج فيتدارسون أحوال المسلمين في مختلف البلاد والأصقاع، فيعرضون آلامهم وآمالهم، وما يصيبهم، وما الطرق الجادة والمخلصة للتخلص من الأعداء والغاصبين. ويتمّ هذا الاستعراض في جوٍّ من التجرد لله، وفي بعد عن التعصب والأنانية، لذا نجد الحج فيه التكافل والتعاون بين أفراد الأمة الإسلامية كلها تحقيقاً لمبدأ القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات ١٠].

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة عندما أعلن بياناته الإسلامية في حجة الوداع، التي لخصت مبادىء الدِّين.

كذلك نجد الخليفة عثمان رضي الله عنه يتخذ من الحج موسماً لإنصاف المظلومين، فيُعلن على الملأ:

«إني آخذ عمالي - أي ولاتي - بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولا لعمالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم. وقد رفع إليَّ أهل المدينة أنَّ أقواماً يشتمون ويضربون، فمن ادَّعى شيئاً من ذلك فليوافِ الموسم، يأخذ حقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا إن الله يجزي المتصدقين».

ولا ننسى قصة القبطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص فاتح مصر، فتمَّ القصاص وأخذ الحق في موسم الحج!

ز - الحج سوق تجاري:

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان ذو المجاز وعُكاظ مَتْجَرَ الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك، حتى نزلت ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ**﴾ [البقرة ١٩٨] في مواسم الحج[١]. فكأنَّهم خشوا الوقوع في الإثم للاشتغال في أيام النسك بغير العبادة، ولكن الإسلام يسر، إذ سمح بالتجارة بعد الإفاضة من عرفات، فالعمل عبادة، وابتغاء الرزق جهاد، ولا جناح في ذلك مع الإخلاص، والنية الطيبة، ما دام المقصود الأساسي هو الحج.

---

(١) رواه البخاري.

مفردات تعبّدية لا بد منها

بعد أن عرفنا أن من حق الله تعالى على عباده أن يؤدّوا الفرائض المعروفة (الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج)، وأن يوقنوا بأن الله تعالى واحد لا شريك له، ويؤمنوا بوجود الملائكة والجن واليوم الأخر، ويدركوا أهمية إرسال الأنبياء، وضرورة الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله عز وجل.

بعد هذا ثمة عبادات من حق الله تعالى على العباد، وأهمُّها:

أ ـ الصدق:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد ٢١].

وقال رسول الله ﷺ:

«إن الصدق يهدي إلى البِّر وإن البرّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجورَ يَهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(١).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وعن علي بن أبي طالب قال: حفظتُ من رسـول الله ﷺ: «دع ما يُرِيبك إلى ما لا يَرِيبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»(١).

وقال رسول الله ﷺ:

«أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ممَّا فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفّة مَطْعَمٍ»(٢).

وقال ﷺ:

«اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعـدتم، وأدوا إذا ائتُمِنْتُم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم»(٣).

وعن أبي سفيان صَخْر بن حَرْب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هِرَقْلَ، قال هِرَقْلُ: فماذا يأمركم - يعني النبي ﷺ - قال أبو سفيان: قلتُ: يقول: «اعبـدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصـلاة، والصدق، والعفاف، والصلة»(٤).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كذب العبد تباعد عنه المَلَكُ ميلاً من نتن ما جاء به»(٥).

(١) رواه الترمذي، «دع ما يريبك»: اترك ما تشك في حِلِّه، واعدِل إلى ما لا تشُكُّ فيه.

(٢) رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي.

(٣) رواه أحمد وابن حبان.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه الترمذي.

وعن سفيان بن أسد الحضرمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَبُرَتْ خيانة أن تحدِّث أخاك حديثاً هو لك به مصدّق وأنت به كاذب»[1].

ب ـ أداء الأمانة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء ٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب ٧٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا اؤتمن خان»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قلّما خطبنا رسول الله ﷺ إلاّ قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما كان النبي ﷺ يحدّث، إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ قال: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظرِ الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ فقال رسول الله

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البيهقي.

ﷺ: «إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[1].

وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ:

«المجالس بالأمانة إلاَّ ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مالٍ بغير حق»[2].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[3].

ج - بِرُّ الوالدين:

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً﴾ [الأحقاف ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقَل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةَ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء ٢٣ - ٢٤].

وعن أبي عبد الرحمن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[4].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أبو داود والدارمي والحاكم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يجزي ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكاً، فيشتريه، فيعتقه»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحقّ الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك» قال: ثم مَن؟ قال: «أمك» قال: ثم مَن؟ قال: «أمك» قال: ثم مَن؟ قال: «أبوك»[2].

وعن أبي الدرداء قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إن الوالد أوسط أبواب الجنة فاحفظ ذلك الباب، أو دَعْهُ»[3].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله. قال: «فهل من والديك أحدُ حيّ» قال: نعم. قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[4].

د ـ صلة الأرحام:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد ٢١].

(١) رواه مسلم. «لا يجزي»: لا يُكافىء.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

(٤) رواه مسلم وأبو داود.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ [النساء ١].

وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويُباعدني من النار. فقال النبي ﷺ:

«تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»(١).

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إذا أفطر أحدُكم فليُفْطِر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجدْ تمراً فالماء، فإنه طَهُور» وقال:

«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صَدَقة وصِلة»(٢).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

«من أحب أن يُبْسَطَ له في رزقه، ويُنْسَأَ له في أثره، فلْيصِلْ رَحِمَهُ»(٣).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«إن للرحم للساناً يوم القيامة تحت العرش، يقول: يا ربِّ قُطِعْتُ، يا ربِّ ظُلِمْتُ، يا رب أُسيء إليَّ، فيجيبُها ربُّها:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

ألا تَرضَيْن أَن أصل من وصلكِ، وأقطع من قطعك؟»[1].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال:

«ليس الواصل بالمكافىء، ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قَطَعَتْ رحِمه وَصَلَهَا»[2].

هـ ـ الوفاء بالعهد:

قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء ٣٤].

وقال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ**﴾ [النحل ٩١].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالْعُقُودِ**﴾ [المائدة ١].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً. ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعَهَا: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَر»[3].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «لو قد

---

(١) رواه البيهقي في «الأربعون الصغرى».
(٢) رواه البخاري. «ليس الواصل»: أي الكامل الصلة لأقاربه.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

جاء مالُ البحرين أعطيتُك هكذا وهكذا وهكذا» فلم يَجِيء مالُ البحرين حتى قُبِضَ النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضي الله عنه فنادى: مَنْ كان له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فليأتنا. فأتيتُه وقلتُ له: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حَثْيَةً، فعددتُها، فإذا هي خمسمائة، فقال لي: خُذْ مِثْلَيْهَا[1].

و ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمَّة يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمنكرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة ٧١].

وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من رأى منكم مُنْكراً فليغيِّره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ما من نبيٍّ بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

حواريُّون[1] وأصحاب يأخذون بسنَّته ويقتدون بأمره، ثم إنها تَخلُف[2] من بعدهم خلوفٌ[3] يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خَرْدل»[4].

وعن حُذَيْفَةَ رَضِي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشِكَنَّ الله أن يبعثَ عليكم عقاباً، ثم تَدْعُونَه فلا يُستجاب لكم»[5].

وعن عدي بن عميرة الكندي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذَّب الله الخاصة والعامة»[6].

ز ـ جهاد الكفار والمنافقين:

قال الله تعالى:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

---

(١) «حواريون»: خُلصاء وأصفياء وأنصار.
(٢) «تخلف» تحدث.
(٣) «خلوف» جمع خلْف، وهو الخالف بشرّ.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الترمذي.
(٦) رواه أحمد والطبراني.

بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً * وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ[1] فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء ٧٤ - ٧٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله»[2].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه أُجري عليه الذي كان يعمل وأُجري عليه رزقه وأَمِنَ الفَتَّان»[3].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

(١) «الطاغوت»: الشيطان وسبيله الكفر.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

«رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»[1].

وعن أبي عبيس عبد الرحمن بن جبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما اغبرَّت قدما عَبْدٍ في سبيل الله فتمسّه النار»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يلجُ النَّارَ رَجُلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضّرع، ولا يجتمع على عَبْدٍ غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنَّم»[3].

ح ـ الإحسان للجار:

قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ [النساء ٣٦].

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيوِّرثه»[4].

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا أبا ذرّ إذا طبخت مَرَقَةً، فأكثر ماءها، وتعاهَدْ جيرانك»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال:

«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»!، قيل: منْ يا رسولَ الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»[2].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جارَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسولَ الله إنَّ لي جارَيْن، فإلى أيِّهما أُهْدِي؟ قال: «إلى أقربهما منكِ باباً»[4].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«خَيْرُ الأصحاب عند الله تعالى خيرُهم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره»[5].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم. «بوائقه»: غوائله وشروره.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الترمذي.

ط ـ الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة ١٨٦].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:

«الدعاءُ هو العبادة»(١).

وقال رسول الله ﷺ:

«الدعاءُ سلاحُ المؤمن، وعمادُ الدين، ونورُ السماوات والأرض»(٢).

وقال رسول الله ﷺ:

«من لم يسأل الله يغضبْ عليه»(٣).

وقال ﷺ:

«لا يُغني حَذَرٌ من قَدَر. والدعاء ينفع ممَّا نزل وممّا لم

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه الحاكم وصححه.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم.

ينـزل، وإن البلاء لينـزل فيلقاه الـدعـاء فيعتلجـان إلى يـوم القيامة»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«الـدعاء ينفـع مما نـزل ومما لم ينـزل فعليكم عباد الله بالدعاء»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ:

«إن الله يحب الملحِّين في الدعاء»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أقـرب ما يكـون العبدُ من ربـه وهو سـاجد فـأكثروا الدعاء»[4].

ي ـ ذكر الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت ٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة ١٥٢].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه الحاكم والطبراني.

(٢) رواه الحاكم وأحمد والطبراني.

(٣) رواه البيهقي والطبراني وابن عدي.

(٤) رواه مسلم.

«مَثَلُ الذي يَذْكُرُ ربَّه والذي لا يذكره مَثَلُ الحيّ والميت»(١).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«أفضلُ الذكر لا إله إلا الله»(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أُنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخيرٍ لكم من أن تَلْقَوْا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم»؟ قالوا: بلى، قال: «ذِكْرُ الله تعالى»(٣).

وقال رسول الله ﷺ:

«لا يقعد قومٌ يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمةُ، ونزلت عليهم السكينةُ، وَذَكَرَهمُ الله فيمن عنده»(٤).

ك ـ تلاوة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل ٢٠].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٣) رواه الترمذي والحاكم ومالك.

(٤) رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء ٧٨].

وقال عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل ٤].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[(١)].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ:

«الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفَرة الكرام البَرَرَة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران»[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قرأ حَرْفاً من كتاب الله فله حَسَنَةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن: ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم..

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الترمذي.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:

«يُقال لصاحب القرآن: اقرأْ وارتَقِ[1] ورتِّل كما كنتَ تُرتِّل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[2].

ل ـ حب الله تعالى ورسوله ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران ٣١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة ٥٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحب إليه ممَّا سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن توقد له نار فيقذف فيها»[3].

وعن أنس أيضاً، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

---

(١) «ارتَقِ»: اصعد في دَرَج الجنة بمقدار ما حفظته من القرآن.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[1].

وعن أنس أيضاً أن أعرابياً قال لـرسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: «ما أعددتَ لها»؟ قال: حبُّ الله ورسوله. قال: «أنت مع مَنْ أَحببتَ»[2].

وعن عـائشة رضي الله عنها أن رسـول الله ﷺ بعث رجلاًعلى سَرِيَّة، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ: ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا، ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «سلوه لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلـك»؟ فسألـوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال رسولُ الله ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه»[3].

م ـ خشية الله والإنابة إليه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران ٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«سبعة يظلِّهم الله في ظله يوم لا ظـل إلا ظله» وذَكَرَ منهم: «وَرَجلٌ ذكر الله خالياً ففاضتَ عيناه»[4].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنـه، عن النبي ﷺ قال:

«ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأَثَرَيْن: قطرةِ دموعٍ من خشية الله، وقطرةِ دمٍ تُهْرَاقُ في سبيل الله. وأما الأثرانِ: فأثرٌ في سبيل الله تعالى، وأثـرٌ في فريضـةٍ من فرائض الله تعالى»(1).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»(2).

وقال رسول الله ﷺ:

«مَن خافَ أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألاَ إنَّ سلعةَ الله غاليةٌ ألا إن سلعة الله الجنة»(3).

ن ـ إخلاص الدِّين لله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينـة ٥] وقال تعـالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِـرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر ١١]. وقال عز وجـل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الـدِّينَ﴾ [الزمر ٢].

(1) رواه الترمذي.
(2) رواه البخاري ومسلم.
(3) رواه الترمذي.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسولُ الله ﷺ يقول:

«إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانَتْ هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله. ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله لا ينظرُ إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم»[2].

وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال له:

«إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاَّ أُجِرْتَ عليها حتى ما تجعلُ في فِيّ امرأتك»[3].

س ـ الصبر:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا﴾ [آل عمران ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة ١٥٥].

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد ٣١].

وعن صُهَيْب بن سِنَان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«عَجَباً لأمر المؤمن إنَّ أَمْرَهُ كلَّه له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلاَّ للمؤمن: إنْ أصابته سرَّاء شَكَر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صَبَرَ فكان خيراً له»(١).

وعن أبي سعيد الخُدْري قال: جاء أُناسٌ من الأنصار، فسألوا رسولُ الله ﷺ، فأعطاهم. قال: فجعل لا يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نَفِدَ ما عنده، ثم قال لهم حين أنفق كُلَّ شيء عنده: «ما يكونُ عندنا من خير فلن نَدَّخِرَهُ عنكم، فإنه من يَسْتَعفِفْ يُعِفَّه الله، ومَنْ يستغنِ يُغْنِهِ الله، ومن يتصبَّر يُصبِّرْهُ الله، ولن تُعْطَوْا عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»(٢).

وعن الحارث بن عاصم الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:

«الطّهور شَطْرُ الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمدلله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض والصلاة نور، والصَّدَقة بُرْهان، والصبر ضياء...»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه مسلم.

«يقولُ الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[١].

ع ـ الشكر لنِعَم الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى ١١].

وقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة ١٥٢].

وكان من دعاء رسول الله ﷺ:

«اللهم أعنِّي على شُكْرك وذكرك وحُسْنِ عبادتك»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«أربعٌ من أُعطيهن فقد أُعطي خَيْرَ الدنيا والآخرة: قلبٌ شاكر، ولسان ذاكر، وبَدَنٌ على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه خَوْناً في نفسها ولا ماله»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«ما أَنْعَمَ الله عز وجل على عَبْدٍ نعمة يعلمُ أنها من عند الله عز وجل إلا كتب الله له شكرها»[٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان والحاكم.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الشكر».

(٤) انظر المصدر السابق.

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«التحدُّثُ بالنعم شكرُها، وتركها كفـر، ومَنْ لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل؛ والجماعة بركة والفرقة عذاب»(١).

وقد صلَّى النبي ﷺ حتى انتفختْ قدماه، فقيل له: يا نبيَّ الله، تَكلَّفُ هذا وقد غفر الله لك؟ قال: «أفلا أكونُ عبداً شكوراً»(٢).

وقال رسول الله ﷺ:

«يُنادى يوم القيامة: لِيَقُم الحمّادون، فتقومُ زمرةٌ فيُنْصَبُ لهم لواءٌ فيدخلون الجنة». قيل: وما الحمّادون؟ قال: «الذين يشكـرون الله تعالى عـلى كل حـال» وفي لفظٍ آخـر: «الـذين يشكرون الله على السرَّاء والضرّاء»(٣).

ف ـ التوكُّل على الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق ٣].

وقـال سبحانـه: ﴿وَتَوَكَّـلْ عَلَى الْحَيِّ الَّـذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [الفرقان ٥٨].

---

(١) رواه أحمد وابن أبي الدنيا والبيهقي.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«لو أنكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكّله لَرَزَقَكُم كما يـرزقُ الطير، تغدو خِماصاً وتروح بطاناً»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسـول الله ﷺ:

«عُـرِضَتْ عَليَّ الأممُ، فـرأيتُ النبي ومعه الـرُّهيط[٢]، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذْ رُفِعَ لي سواد عظيم[٣] فـظننتُ أنهم أمتي، فقيل لي: هـذا موسى وقومه، ولكن انظرْ إلى الأفق، فنظرتُ فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمَّتُك، ومعهم سبعون ألفـاً يدخلون الجنـة بغير حسـاب ولا عذاب». ثم نهض فدخل منزلـه، فخاضَ النـاسُ في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلّهم الذين صحبوا رسولَ الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلَّهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله، وذكروا أشيـاء، فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه»؟ فـأخبروه فقـال: «هم الذين لا يَـرْقُـون، ولا يَسْتَـرْقُـون ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكَّلون» فقام عُكَّاشة بن مُحْصِن فقال:

---

(١) رواه الترمذي. «تغدو خماصاً وتروح بـطاناً»: أي تـذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار ممتلئة البطون.

(٢) الرُّهيط: ما دون العشرة.

(٣) «سواد عظيم»: أشخاص كثيرون.

ادْعُ الله أَن يجعلني منهم، فقال» «أنتَ معهم»، ثم قام رَجُلٌ آخـر فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقـال: «سبقـك بهـا عُكَّاشة»[1].

ص- السعي في الرزق:

قال الله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ﴾ [الجمعة ١٠].

وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال:

«ما أكل أحد من بني آدم طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده. إن نبيَّ الله داود عليه السلام كان يأكل من كَسْبِ يده»[2].

وعن كعب بن عجرة قال: مرَّ على النبي ﷺ رجلٌ، فرأى أصحابُ رسولِ الله ﷺ من جَلَده ونشاطه، فقالوا: يا رسولَ الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ:

«إنْ كان خرج يسعى على ولده صغـاراً فهو في سبيـل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يَعُفُّها فهـو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةُ فهو في سبيل الشيطان»[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الطبراني.

توحيد الله تعالى
أساس قبول العبادات

من حقِّ الله تعالى على عباده أن يعبدوه، ويمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه؛ بإخلاص وصدقٍ ويقين، دون إشراكٍ بالله، أو تعطيلٍ لصفةٍ أو فعل يتَّصف به الخالق المولى.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء ٤٨].

وقال عز وجل:

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة ٧٢].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [النساء ١١٦].

فالشِّرْكُ ظلمٌ عظيم، ومنافاة للتوحيد، واستكبار عن الخضوع للخالق الأعظم جل جلاله، وجهل بحقيقة الذات الإلهية.

ومن الشرك ما يُسمَّى: شرك الوساطة، حيث يعبد المشرك وسيطاً بينه وبين الله تعالى، فهذا المشرك لا يستهين بعظمة الربوبية بل يقصد تعظيم الخالق، لأنه يعبد الوسائط

لتدلّه على الطريق وتُمهِّد له الدخول على الله عز وجل.

ومن الشرك ما يُعطِّل اسماً أو صفة أو فعلاً للمعبود، أو يشرك في العبادة والمعاملة. وهذا واضح في شِرْك فرعون الذي قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء ٢٣]، وهو الذي قال لهامان: ﴿ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾ [غافر ٣٦ ـ ٣٧].

ومن الشرك مَنْ يجعلُ مع الله إلهاً آخر كشرك النصارى الذي جعلوا من المسيح إلهاً ومن أمه إلهاً، ومثلهم من عبد الكواكب أو الشمس أو النار.

وقد حذَّر رسولُ الله ﷺ من نوع خفِي من الشرك هو الرياء فقال عليه الصلاة والسلام: «الشركُ في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة» قالوا: كيف ننجو منه يا رسولُ الله؟ قال:

«قلِ اللهمَّ إنِي أعوذُ بك أن أُشرِكَ بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم»(١).

فالرياء كله شرك، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعَبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف ١١٠].

وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا

---

(١) رواه أحمد وابن حبان.

تجعل لأحدٍ فيه شيئاً[1].

● **حقيقةُ الشِّرْك:**

الشرك هو التشبُّه بـالخالق، وتشبيـه المخلوق به. كمن تعاظم وتكبَّر ودعا الناس إلى تعظيمه والخضوع له والاستعانة به والالتجاء إليه، فهو الحامي وهو المدافع وهو الضار و النافع.

قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله عز وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذَّبتُه»[2].

وإذا كان المصوِّر يصنع الصور تَشبُّهاً بالخالق في الصنعة فإن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

«أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يُقـال لهم: أحيوا ما خلقتم»[3].

فكيـف بالمصورين الذين يصنعون التماثيل للبشر، أليس في هذا تشبهاً بربوبية الخالق وألوهيته تبارك وتعالى. قال ﷺ:

«قال الله عز وجـل: ومن أظلـم ممن ذهب يخلق خلقاً كخَلْقي»[4].

وكيـف بمن تسمَّى بملك الملوك أو حاكم الحكَّام، فهذا

---

(١) رواه أحمد في الزهد.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

الأمر يستوجب سخط الله تعالى، ويجلب نقمته وعذابه.

يقول عليه الصلاة والسلام:

«إنَّ أخنعَ الأسماء عند الله رجلٌ يُسمَّى بشاهان شاهٍ ـ أي ملك الملوك ـ لا مَلِكَ إلا الله»[1].

ومن أعظم الشرك سوء الظن بالله سبحانه وتعالى، فهذا الظن السيء تعطيل لصفة من صفات الخالق، قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت ٢٣].

ومن الظن السيء من يحسب أن الله تعالى لن يعذب أحداً ولو أشرك أو كفر. يقول الله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص ٢٧ و٢٨].

كذلك من جمع بين الله تعالى والشيطان في الطاعة والإجلال، فإنه يشرك بالخالق، لأن الشيطان عدو، والله وحده هو المستحق للعبادة. قال تعالى:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنَ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس ٦٠ ـ ٦١].

ومن المشركين من يعبد الملائكة، لكنهم في الحقيقة

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

يخضعون للشياطين في عبادتهم. قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا: سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ ٤٠ ـ ٤١].

● أسباب الشرك:

تكمن عوامل عدة وراء ظاهرة الشرك، وأهمها:

١ ـ الجهل:

ذلك أن المقلِّد جاهل، والجهل سبيل إلى الضلال، فيُجادل ظناً بأنه امتلك الحقيقة، لكنه في الواقع غير مؤهّل للجدال. وقد شدَّد القرآنُ الكريم النكير والحملة على التقليد الأعمى الذي وقع فيه الجاهليون، وتمسَّكوا بالشرك بسبب تقليد آبائهم، وفي ذلك عبرة أي عبرة لمن يقلِّدون الأجانب والأعداء فيما يبتكرون في عالم الفكر والأزياء. يقول تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج ٨ ـ ٩].

فهؤلاء الجهال المقلدون تقليداً أعمى يَحْيَوْنَ بلا عقلٍ صحيح ولا نقلٍ صريح، بل بمجرّد الرأي والهوى. فالواحد منهم يستكبر عن الحق إذا دُعِيَ إليه، ويُعرض تمادياً في الباطل.

٢ ـ الهوى:

يشكّل الهوى دوراً كبيراً في ردِّ الناس عن قبول الحق واعترافهم بالخالق مُوجِداً ومُشرِّعاً، فتراهم ينساقون مع شهواتهم ونزواتهم، باحثين عن اللذة، غير مبالين بالحق والتوحيد، فكل شيء يرونه حسناً في هوى أنفسهم يتخذونه دينهم ومذهبهم.

وعند ذلك يقترن الجهل بالهوى، والهوى بالكبر، وبالتالي تتَّسع شقة الخلاف، وتتضخم الهوّة، يقول تعالى: **﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾**؟! [الفرقان ٤٣].

وإذا استولى الهوى على النفس، فإن الإنسان ينقلب حيواناً، تطغى عليه الشهوة وتتحكم به ذاته، يقول تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾** [الأعراف ١٧٥ ـ ١٧٦].

وهكذا يحيا هؤلاء بعيدين عن الأدلَّة الصحيحة وعن الحجج الهادية، فإذا بالشرك والكفر يحيط بهم من كل جانب.

٣ ـ الكبر والعناد:

ومن المشركين من يعاند الحق، فلا يقبله، ويجادل مستكبراً فينأى عن النصيحة، ويستغرق في جهله وخطيئته. وهذه الأنفة الباطلة دليل البشرية الزائفة، ففرعون أعلن أمام الناس قائلاً: **﴿أَنا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾** [النازعات ٢٤] فلما وقع في الأزمة والغرق قال: **﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو**

﴿إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس ٩٠].

ويطالب المعاند بالخوارق، فهو لا يقبل تحكيم العقل أو الوقوف على الحق، بل يستكبر مطالباً بالمعجزات والأمور غير العادية، وقد قصَّ القرآن الكريم طرفاً من حكايتهم؛ فقال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾ [الإسراء٩٠ - ٩٣].

وهذا الجحود دليل عنادهم، وأثر خطير من آثار الاستكبار الذي خرق فيهم عقولهم وتفكيرهم.

٤ - الخوف:

والسبيل الرابع للضلال والشرك يتمثل في الخوف والتردد والإحجام، فالحق ثبات وتضحية وجرأة، لكن الإشراك تراجع وخذلان. قال تعالى:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة ٥٦ - ٥٧].

أما المؤمن فلا يخاف. قال تعالى:

﴿وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ﴾ [الأحزاب ٣٩].

وقال عز وجل: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة ٥٤].

فلا تمنع المؤمنين سطوةُ أحد عن تبليغ رسالة الإسلام وكفى بالله ناصراً ومعيناً. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة إذ قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشرق والمغرب، فأظهر الله تعالى دينه ونصر شرعه ولم يخشَ في الله أحداً.

حق العباد على الله تعالى

إنَّ حقَّ العباد على الله عزَّ وجلَّ هو من باب التفضّل والرحمة، وليس واجباً ولا أمراً مفروضاً على الخالق، فالله تعالى وَعَدَ بالرحمة وأوجبها على نفسه بخبره الصادق، ووعده الحق، فخُوطب العباد على ما يعرفونه من أنه مَنْ كتب شيئاً فقد أوجبه على نفسه.

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام ٥٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخَلْقَ: أنَّ رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش»(١).

وكل ما يُصيبنا فهو تطبيق للفضل الإلهي، فالخير من عند الله ومن فضله لأن الإنسان مهما عمل من طاعة فإنه لا يستحق عليها الأجر استحقاقاً ذاتياً، وإنما يكون الاستحقاق فضلاً من الخالق عزَّ وجلَّ.

وما يُصيبُ الإنسان من شر فمن نفسه، فذنوبه هي السبب في استحقاقه للعقوبة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

قال تعالى:

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾ [النساء ٧٩].

حتى النبي ﷺ يرى أن دخوله الجنة يكون برحمة الله تعالى، فهو القائل:

«لن يُدخل أحدكم عملهُ الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»[١].

وذلك أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله، فيأتي الثواب على العمل بفضل الله تعالى. وكذلك انتقامه عزّ وجل ممّن عصاه بعدل منه. وله سبحانه وتعالى أن يعذِّب الطائع وينعِّم العاصي، ولكنه أخبر أنه لا يفعل ذلك، وخبره صدق لا خُلْفَ فيه.

ولـمّا كان النبي محمد ﷺ في أجر طاعته أعظم، وفي عمله في العبادة أقوم، فإن أعماله لا تنجيه مع عِظَم قدره، لولا تدارك الله تعالى له برحمته ومغفرته.

فعلى العاقل ألاَّ يتَّكل في طلب النجاة ونيل الدرجات على عمله لأنه إنما عمل بتوفيق الله، وترك المعصية بعصمة الله، فكل ذلك بفضله ورحمته.

ومن هنا يمكن أن ننطلق في فهم «حقّ العباد على الله

(١) رواه البخاري ومسلم.

تعالى» فيما رواه أنس بن مالك عن معاذ بن جبل رضي الله عنهما قال: بينما أنا رديفُ النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا أخِرَة الرَّحْل فقال: «يا معاذُ»، قلت: لبيك رسولَ الله وسعديك. ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذُ» قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ»، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: «هل تدري ما حقُّ الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقُّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئاً». ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذَ بن جبل»، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. فقال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقُّ العباد على الله أن لا يُعذِّبهم»(١).

وفي رواية أخرى للبخاري: «قلت: - أي معاذ - يا رسول الله أفلا أُبشِّر به الناس؟ قال: «لا تبشِّرهم فيتَّكلوا».

فالرسول ﷺ يريد من العباد الموحِّدين أن لا يتكَّلوا على مضمون تلك البشرى حتى لا يكون ذلك سبباً في خمولهم أو توانيهم في أداء الطاعات، والمسارعة إلى الله سبحانه وتعالى بفعل الخيرات. وذلك لأنهم إذا لم يؤكدوا توحيدهم لله سبحانه وتعالى بفعل الخيرات وترك المنكرات إلى آخر لحظة في حياتهم؛ فإنَّ ذلك يُشكِّل خطورة كبيرة عليهم وعلى مستقبلهم عند الله: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٨ - ٨٩] ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ ٤٠] ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين ٦].

(١) رواه البخاري ومسلم.

صفات عبـاد الرحمن:

يقول الله تعالى:

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِم الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف ١٥٦ ـ ١٥٧].

ومن خلال هاتين الآيتين نلحظ صفات الذين كتب الله تعالى رحمته لهم، وهذه الصفات هي:

أ ـ التقوى:

فالمؤمنون يطيعون الله تعالى فيتمثّلون أوامره ويجتنبون نواهيه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران ١٠٢] وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦]..

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ

مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبْ﴾ [الطلاق ٢ ـ ٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم»[٢].

وقال علي بن أبي طالب في صفة المتقين:

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحَزْماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حِلْم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجمُّلاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرُّجاً عن طمع، يعمل الصالحات وهو على وَجَل، يُمسي وهمُّه الشكر، ويُصبح وهمّه الذكر، مقبلاً خيرُه، مدبراً شرُّه، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرَّخاء شكور، نفسه منه في عناء، والناسُ منه في راحة.

ب ـ إيتاء الزكاة:

ومن صفات المؤمنين أنهم يؤدون الزكاة، وقد جعل الله تعالى الزكاة طهرة للمال ولصاحبه، فالمزكِّي راغب في الثواب، خائف من العقاب، يتمثّل قولَ الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١].

فالذي يبذل المال لوجه الله تعالى يُثبت في الحقيقة أنه مؤمن صادق الإيمان، وقد خصَّ الله تعالى المتقين بصفة دفع الزكاة، لأنه أمرٌ يصعب على النفس ويشقُّ عليها.

ج ـ الإيمان بالآيات المنزلة:

أي أن المؤمنين يُصدِّقون بكل ما أخبر الله تعالى به في كتابه الكريم، ذلك أن القرآن كتاب الله المعجز، أنزله تعالى على النبي محمد ﷺ. ونحن نؤمن ونصدِّق بالقرآن جملةً وتفصيلاً أنه من عند الله، والله تعالى مُنزَّهٌ عن أن يُثبت في كلامه غير الحق، فنحن نؤمن بكل خبرٍ تضمّنه القرآن، ونعتقد أن منكر ذلك كافر، لأنه مكذب لخبر الله في كتابه. قال تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة ٢٨٥].

د ـ اتِّباع الرسول:

ومن صفات المؤمنين أنهم يتبعون الرسول ﷺ، فهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، واستجابوا لله ولرسوله حين دعاهم لما يحييهم، فبادروا إلى الإيمان، وبايعوا على الطاعة والجهاد، واستطابوا المكاره في سبيل إعزاز دين الله تعالى. وساحوا في الأرض لنشر الدين، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وصحابة رسول الله ﷺ قال فيهم أبو سفيان: «ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً».

وهـذا الاتباع وذاك الحب رابـطة متينة تُعـبِّر عن تمـام الطاعة، وجودة الولاء، وخالص المحبة الحقيقية.

هـ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فالأنبياء يـأمرون النـاس بخلع الأنداد، ويـدعونهم إلى مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام، وينهونهم عن عبادة الأصنام وقطع الأرحام.

وقد دعا الأنبياء إلى التقوى وترك عبادة الأصنام:

فقال نوح: ﴿أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء ١٠٦ ـ ١٠٨].

كذلك كانت دعوة النبي هود:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ آمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء ١٢٤ ـ ١٢٦].

وهكذا نجد وحدة الهدف في الدعوة النبـوية، فـما من واحدٍ من الأنبياء إلا وقد دعا إلى تقوى الله، ومخافة الخالق عز وجل، وذلك للانتقال بعد التوحيد والإقرار بألوهية الخالق إلى المعاملات في كل مجالات الحياة.

و ـ إحلال الطيبات:

يدفع الله تعالى عباده لـلأكل من الـطيبات من الـرزق فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدونَ﴾ [البقرة ١٧٢].

ويحذِّر تعالى الذين يُحرِّمون طيبات ما أحلَّ الله لهم، فقال عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** [المائدة ٨٧]..

وهذا التعدّي يفيد النهي عن تحريم ما أُحِلَّ وتحليل ما حُرِّم، داعياً إلى القصد ضمن الحلال.

والطيبات كلمة جامعة لكل طعام مباح، أو نفع مباح.

وقد حرَّم الله على الناس الخبائث، فقال تعالى: **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾** [الأعراف ١٥٧]. فالخبائث كلمة جامعة لكل طعام محظور أو نفع محظور، كالخمر والميتة والخنزير وحلوان الكاهن ومهر البغي وكسب الاحتكار ومال الرشوة والقمار والربا.

لذا فإن المؤمنين المتقين يتَّصفون بالورع والبعد عن المحرّمات والشبهات. قالت عائشة: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة: الورع. وقال ابن عمر: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، لم يُقْبَلْ ذلك منكم إلاَّ بَوَرَعٍ حاجزٍ.

ز ـ نصر الرسول:

إن المؤمنين يُضحُّون بأموالهم وأنفسهم لنُصرة الرسول ورفع كلمة الحق عالية خفَّاقة، فها هو أبو بكر الصِّدِّيق في رحلة الهجرة مع رسول الله ﷺ يمشي ساعة بين يديه وساعة خَلْفه وساعة عن يمينه وأخرى عن يساره، وما ذلك إلا خوفاً

أن يصيب الرسول مكروه أو أذى من المشركين المترصِّدين، فقد كان يخاف على دين الله وشريعته المتمثلة بشخص النبي عليه الصلاة والسلام فقال: أنا إنْ قُتِلْتُ فإنما يُقتل رجلٌ، ولكن إن أُصِبْت أنت بمكروه إنما يذهب دين وتنمحي شريعة.

وها هو علي بن أبي طالب يفدي النبي ﷺ بروحه يوم الهجرة فينام في فراشه، بينما شباب قريش يحاصرون الدار، لكن علياً لم يتلفت إلى هذه المخاطر المحدقة، ونام على فراش الحبيب، يفديه بنفسه.

ثم إن ما فعله عثمان رضي الله عنه عندما ألقى المال الكثير يوم تجهيز جيش العُسرة، وشراؤه بئر رومة، وغير ذلك لهو تضحية ما بعدها تضحية، وتدل على مقدار محبة الصحابة لرسولهم وفدائهم له بالمال والروح.

وكل ما تقدَّم من صفات تؤكد استحقاق المتَّصفين بها لرحمة الله تعالى.

ونتابع تعداد بعض صفات المؤمنين فنقول:

ح ـ السَّكينة والوقار والصفح:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ [الفرقان ٦٣].

فمن صفات المؤمنين: المشي بسكينة ووقار من غير استكبار ولا مرح ولا أشَرٍ ولا بَطَرٍ، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى، أو يتصنعون ويراؤون، لا، فقد كان سيدنا محمد ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صَبَبٍ، وكأنَّ الأرض تُطوى له.

والمرادُ بالهون هنا: السكينة والوقار. وإذا سفه الجاهل على المؤمن بالقول السيء لم يقابله بمثله، بل يعفو ويصفح، ولا يقول إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدّةُ الجاهل إلا حلماً.

يقول رسول الله ﷺ:

«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلاَّ عِزَّاً، وما تواضع أحدٌ لك إلا رفعه الله»(١).

وقال ﷺ:

«إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»(٢).

ط ـ التهجُّد:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ [الفرقان ٦٤].

أي يبيتون في طاعة الله وعبادته، وخصَّ البيتوتة بالذكر لأنَّ العبادة بالليل أبعد عن الرياء.

وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّ في الليل لساعة لا يوافقُها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته، فإن أبت نَضحَ في وجهها الماء. رحم الله امرأةً قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[1].

وعن أبي هريرة أيضاً وعن أبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ:

«إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ـ أو صلَّى ـ ركعتين جميعاً، كُتِبا في الذاكرين والذاكرات»[2].

ي ـ الدعاء والخوف من النار:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَراماً * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾ [الفرقان ٦٥ ـ ٦٦].

فالمؤمن التقي يدعو ربه خائفاً من عذاب النار، فلا يأمن مكر الله، ولا يغترّ برحمته. فالعذاب يوم القيامة شديد، ورهبة المولى العلي القدير تُقطّع نياط القلب.

فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُؤتى بجهنم يومئذ[3] لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرُّونها»[4].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) «يومئذ»: يوم يقوم الناس من قبورهم للحساب.

(٤) رواه مسلم.

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لَرَجُلٌ يُوضَعُ في أخمص[1] قدميه جَمْرَتَان يَغْلِي منهما دماغُه، ما يرى أن أحداً أشدُّ عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»[2].

وقال ﷺ:

«ناركم هذه جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية قال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً وكلّهن مثل حرها»[3].

ك ـ الاقتصاد في الإنفاق:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان ٦٧].

فالمؤمنون ليسوا بمبذِّرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصّرون في حقِّهم فلا يكفوهم، بل عَدْلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا ذاك.

وقال تعالى في النهي عن التبذير:

﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء ٢٦ ـ ٢٧].

(١) «أخمص»: ما تجافى من أسفل القدم على الأرض.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

وقال عز وجل في النهي عن البخل:

﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل ٨ ـ ١١].

وقال ﷺ:

«مِن فِقْهِ الرَّجُل قَصْدُه في معيشته»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام:

«الاقتصادُ في النفقة نصف المعيشة»(٢).

ل ـ النزاهة عن الشرك:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ [الفرقان ٦٨].

وهذا يقتضي الإيمان بالله تعالى خالقاً ومعبوداً والاعتراف بوجوده والقبول عنه في كل ما أنزل وأمر، والطاعة له فيما أخبر وقضى، يقول الله تعالى:

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران ١٨].

وهذه الآية تدل على انتفاء الشركاء والتعدد في الآلهة، فالله تعالى هو المتفرد بالألوهية والربوبية، وهو ربُّ كل شيء ومليكه، تنزَّه عن الشريك والولد، وتفرَّد بالملك في السماوات والأرض.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البيهقي وابن السني والديلمي والقضاعي.

ووحدانية الله تعالى لا تقبل شركاً، ولا تُقِرُّ أنداداً، وتُوصد الأبواب أمام الشرك الأكبر والأصغر.

وعن ابن مسعود قال: سُئل رسولُ الله ﷺ: أيّ الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل لله نِدّاً وهو خَلَقَك»(١).

م ـ عدم القتل إلا بالحق:

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان ٦٨].

فهذه الآية نهيٌ عن قتل النفس المحرّمة مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها.

قال رسول الله ﷺ:

«لا يحلُّ دمُ امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيِّبُ الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»(٢).

وكذلك من شقَّ عصا المسلمين وخالفَ إمام جماعتهم، وفرَّق كلمتهم، وسعى في الأرض فساداً بانتهاب الأهل والمال، والبغي على السلطان والامتناع من حكمه يُقتل. فهذا معنى قوله: ﴿إلا بِالْحَقِّ﴾.

ن ـ تجنُّب الزنا:

قال الله تعالى: ﴿وَلا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان ٦٨].

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

أي أن المؤمنين المتقين لا يستحلون الفروج بغير نكاح ولا ملك يمين. ودلَّت الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنى، ولهذا ثبت في حدِّ الزنا القتل لمن كان محصناً أو الجَلْد القاسي لمن كان غير محصن.

قال رسول الله ﷺ:

«ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفةٍ وضعها رجل في رحمٍ لا يَحِلُّ له»(١).

س ـ تجنُّب الكذب:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان ٧٢].

أي لا يحضرون الكذب والباطل. والزُّور: كلُّ باطل زُوِّر وزُخْرِف، وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد.

وعن أبي بكرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال «الإشراك بالله وعقوق الوالدين ـ وكان متَّكئاً فجلس، فقال ـ: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور». فما زال يكرِّرها حتى قلنا: ليته سكت(٢).

وعن أيمن بن خريم قال: قام رسول الله ﷺ فقال:

«أيها الناس ، عدلتْ شهادةُ الزور إشراكاً بالله» ثلاثاً، ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

(١) رواه ابن أبي الدنيا.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

[الحج ٣٠][1].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال:

«من كتم شهادة إذا دُعِيَ إليها كان كمن شهد الزور»[2].

وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخّم وجهه، ويحلق رأسه، ويطوف به في السوق. وقال أكثر أهل العلم: ولا تُقبل له شهادة أبداً، وإن تاب وحَسُنَت حاله فأمرُه إلى الله.

ع ـ العفو عن المسيء:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ [الفرقان ٧٢]..

واللغو: هو كل سَقْطٍ من قول أو فعل، فيدخلُ فيه الغناء واللهو وغير ذلك مِمَّا قاربه، ويدخل فيه سَفَهُ المشركين وأذاهم المؤمنين وذكر النساء وغير ذلك من المنكر.

فالمؤمن إذا أُوذي صفح، وإذا ذكر النكاح كفَّ عنه، ولا يجالس أهله، بل يعرض عنهم منكراً ما يفعلونه، غير راضٍ بأحوالهم.

ورُوِيَ أن عبدالله بن مسعود سمع غناءً فأسرع وذهب، فبلغ رسولُ الله ﷺ فقال: «لقد أصبح ابنُ أمِّ عبدٍ كريماً»[3].

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه ابن أبي حاتم.

ف ـ قبول المواعظ:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ [الفرقان ٧٣].

أي إذا قرىء عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم، ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع. وإذا تُليت عليهم آيات الله وَجِلَت قلوبُهم فخرُّوا سُجَّداً وبُكيّاً، ولم يخروا عليها صماً وعمياناً.

وعن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ:

«اقرأْ عليَّ القرآن» فقلت: يا رسول الله؛ أقرأ عليك وعليك أُنْزِل؟ قال: «إني أُحبُّ أن أسمعه من غيري». فقرأتُ عليه سورة النساء؛ حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾ [النساء ٤١] قال: «حسبك الآن»، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان(١).

ومَنْ كانت هذه صفتهم من التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والنزاهة عن الشرك والزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ، فإنَّ الله تعالى قد أعدَّ له الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، وذلك بصبرهم على أمر ربهم وطاعة نبيهم ﷺ.

وهناك في الجنة يلقون السلام والتحية والخير والبقاء الدائم.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

● **حقوق العباد على الله تعالى:**

عرفنا فيما سبق أن حق العبد على الله يعني رحمة الله تعالى لهذا المخلوق الضعيف، ورضاه وثناؤه عليه ليزداد قرباً من الله، وسعياً في الطاعة، ويشعر أنه مُكافأ على ما يعمل من الصالحات. وتتوزع حقوق العباد في الأمور التالية:

١ ـ محبة الله للعبد:

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة ٥٤].

وهذه المحبة القائمة بين الله والعبد عطاء من الله تعالى، ورباط وثيق يربط الإنسان بربه الرحيم، وهذا الإنسان يتصف بفضائل نفسية رائعة وسلوكية عظيمة، تسمو وتحلِّق، مما يجعلها جديرة بالحب.

ومن هذه الأوصاف:

أ ـ الجهاد في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ [الصف ٤].

فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله مَنْ كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان.

وهذه الفئة الصامدة المرتبط بعضها ببعض شعوراً وحركة ونظاماً ومواجهة وهدفاً مرسوماً، إنها كتلة قوية تستحق نصر الله ومحبته.

ب ـ الإحسان:

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة ١٩٥].

والمحسن هو الذي يبالغ في إتقان عمله وإجادته، في شعور داخلي يجعل الإنسان يحسُّ أنه مُراقَبٌ من قبل الله عزَّ وجلَّ في كل شيء، وسيردّ يوم القيامة للحساب، فإما إلى الجنة وإما إلى النار ـ والعياذ بالله ـ. قال الإمام النووي عند شرحه لحديث: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، لأنَّنا لو قدَّرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى؛ لم يترك شيئاً ممَّا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء، بتتميمها على أحسن وجوهها، إلا أتى به»(١).

فالمحسن يشعر بمراقبة الله له، مما يجعل عمله متقناً، وذلك منتهى الإحسان، وبالتالي يستحق محبة الله عز وجل.

ج ـ التوبة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة ٢٢٢]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) شرح مسلم (١/١٥٨).

«لله أشد فرحاً بتوبـة عبده المؤمن من رجـلٍ في أرض دويَّة - قَفْر - مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام، فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنتُ فيه فأنام حتى أموت. فوضع رأسه على ساعـده ليموت، فـاستيقظ وعنده راحلتـه، عليهـا زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن مِنْ هذا براحلته»[1].

والتوبة ندم بالقلب واستغفار باللسان وإقلاع عن الذنب والتصميم على عدم العودة على ما كان عليه. والذي يدعو إلى التوبة أننا نجد رباً رحيماً رؤوفاً كريماً، يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات. وما أجمل المرء حين يقف في عتبات الدعاء قائلاً:

يا ربِّ مالي غيرُ لُطْفِـكَ مَلْجَأً   وَلَعَلَّنِي عن بـابـه لا أُطْـرَدُ
يا ربِّ هَبْ لِي توبةً أَقْضِي بها   دَيْناً عليَّ، بـه جلالُـك يَشْهَدُ
أنتَ المجيبُ لِكُلِّ داعٍ يَلْتَجِي   أَنْتَ الْمجيـر لِكُلِّ مَنْ يَسْتَنْجِدُ
مِنْ أيِّ بَحْرٍ غير بَحْرِكَ نستقي؟   وَلِأَيِّ بابٍ غير بَابِكَ نَقْصدُ؟!

د - الطَّهارة:

قال الله تعالى: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة ٢٢٢].

والله تعالى لا ينظر إلى الأشكال ولكن إلى القلوب فهي محل النظافة والطهارة. قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه البخاري ومسلم.

«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١].

وصلاح القلب وطهارة النفس يكون بالتخلص من الغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرياء والسمعة والمكر والطمع وغير ذلك.

وهذه الطهارة تركّز على القلب لأنه مكان الصلاح أو الفساد. قال عليه الصلاة والسلام:

«ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلَحت صلَح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٢].

فمن طهَّر قلبه من الأمراض، وظاهره من الأدران، لقي رباً يحبه، وينصره، ويؤيده، ويكون معه ظهيراً في حركاته وسكناته، ولفظه وفعله وحاله.

هـ ـ التقوى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران ٧٦].

فالتقوى جماع الخير كله، والمتَّقي من اتصف بالفضائل الإنسانية الحقة، وتمسَّك بأسبابها، حتى يأتيه الموت. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وللتقوى ثمرات:

فهي تجعل الإنسان في أمن من الخوف والحزن يوم القيامة. قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس ٦٢ ـ ٦٤].

كذلك فالتقوى تحلُّ المشكلات وتفرِّج الأزمات. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق ٢ ـ ٣].

والتقوى أيضاً تنوِّر البصيرة، قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنفال ٢٩].

ومن وصل إلى مرتبة التقوى كان جديراً بمحبة الله تعالى.

و ـ الصبر:

قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٦].

فالصبر فضيلة خُلُقية تدخل إلى القلب السكينة والراحة، وتخفِّف من متاعب الحياة، فيصبر المؤمن التقي متلقياً المكاره باستسلام للقضاء والقدر.

وأعظم الصبر عند الصدمة الأولى. قال رسول الله ﷺ: «إنَّما الصبر عند الصَّدمة الأولى»[١].

---

(١) رواه البخاري.

ويفوز الصابرون بثناء الله عز وجل وتكريمه لهم، ورحمته إياهم، وتوفيقهم إلى الحق والصواب، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنَ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة ١٥٧].

ولو لم يكن للصابر غيرُ قول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر ١٠] لكفى، حيث في هذه الآية الوعد بالعطاء الذي لا حدود له من قبل رب كريم سمح جواد.

ز ـ التَّوكُّل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران ١٥٩].

والتوكل هو الثقة بالله والاعتماد عليه، واليقين بأن قضاءه نافذ، وقدره واقع، مع الأخذ بالأسباب، وإعداد العدة لكل شيء.

ومن أجل ذلك أجاب رسول الله ﷺ الأعرابي الذي سأله ـ حين أراد دخول المسجد ومعه ناقته ـ: أتركها وأتوكل، أم أعقلها وأتوكل؟ قال عليه الصلاة والسلام: «اعقلها وتوكل»(١).

والمؤمن يكون مع الله في القلب والحب والتوكل وطلب العون من الخالق عز وجل مع توفير أسباب المعاش والسعي في مناكب الأرض للعمل؛ لذا فقد حذَّر ديننا الحنيف من التكاسل

---
(١) رواه الترمذي.

والتواكل والتقاعس بحجة أن الله هو الرزاق الكريم، وفي هذا مغالطة، فإن الرزق يأتي مع العمل والسعي والبحث المستمر.

فالمتوكل يفوز بمحبة الله لأنه ربط القلب بالله، وسعى يكدّ في رحاب الحياة بلا كسلٍ ولا تواكلٍ.

ح - العدل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة ٤٢].

والقاسطون هم العادلون، وهم الفائزون بمحبة الله، ويكفيهم قول الرسول ﷺ:

«إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»[1].

وهذا الفضل لمن عدل في الحُكْم أو الإمارة أو القضاء أو نظر على يتيم أو صدقة أو وَقْف، وكل حقوق العيال تدخل في هذا المجال.

وهؤلاء العادلون حاسبوا أنفسهم قبل أن يُحاسبوا ففازوا بمحبة الله وثنائه سبحانه عليهم.

وهكذا نجد أن الله تعالى يحب العبد إذا كان متَّصفاً بالجهاد في سبيله، والإحسان، والتوبة، والطهارة، والتقوى، والصبر، والتوكل، والعدل، وبالتالي ينال محبة الله تعالى ورضاه.

(١) رواه مسلم.

٢ ـ إجابة الدعاء:

وهذه الإجابة من باب رحمة الله تعالى بالإنسان وعظيم تفضُّله عليه، قال الله عز وجل:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر ٦٠].

وهـذا من كرم الله تبـارك وتعالى أنـه ندب عبـاده إلى دعائه، وتكفَّل لهم بالإجابة. كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أحب عباده إليه مَنْ سأله فـأكثر سؤالـه، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال:

«أربع خصال، واحدة منهم لي وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين عبادي.

فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً.

وأما التي لكَ عليَّ فما عملت من خير جزيتُك به.

وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليَّ الإجابة.

وأمـا التي بينـك وبـين عبـادي فـارضَ لهم مـا تـرض لنفسك»[١].

وقال ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة»[٢].

---

(١) رواه أبو يعلى.

(٢) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وكان خالد الربعي يقول: عجيب لهذه الأمة! قيل لها: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أمرهم بالدعاء ووعدهم الاستجابة، وليس بينهما شرط.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي عن دعائي وتوحيدي سيدخلون جهنم صاغرين.

٣ ـ مغفرة الذنوب:

من صفات الله تعالى أنه غفور للذنوب، يُظهر الجميل، ويستر القبيح في الدنيا، ويتجاوز عن العقوبة في الأخرة.

ومغفرة الله فضل من ذاته العليّة، وكرم من لدنه عز وجل، فهو يغفر الذنوب التي كان العبد يستحق الافتضاح بها على ملأ الخَلْق، وقد وعد أن يُبدِّل سيئاته حسنات، ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته.

قال الله تعالى:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح ٢٩].

ففي الآية وعد من الله، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدّل، والآية نزلت في حق الصحابة الكرام المتَّصفين بالهدي الصالح والسمت الصالح، وعملهم كثير، مخلص، يحتسبون عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل.

قال ابن كثير: وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله

عنهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة.

وفي الحديث: «إن للشيطان لمّة بابن آدم وللملك لمّة، فأمَّا لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وأمَّا لمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق»[1].

فالله تعالى قد وعد بالستر على عباده في الدنيا والأخرة.

٤ ـ دخول الجنة للمتقين:

وعد الله تعالى عباده المؤمنين المتَّقين بأن لهم الثواب العظيم يوم القيامة، وسيدخلون جنة عرضها السماوات والأرض، جزاء أعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا.

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عز وجل قال: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خَطَرَ على قلب بشر ذخراً، بَلْهْ[2] ما أطلعكم الله عليه»[3].

وأخبر الله عز وجلَّ أنهُ أعدَّ للمتقين جنات كثيرة، وهم خالدون فيها. فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران ١٥].

---

(١) رواه الترمذي والنسائي.
(٢) «بَلْه»: دع عنك.
(٣) رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أُحِلُ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[1].

وهكذا نجد أن دخول الجنة هو وعد من الله تعالى للمؤمنين المتقين، وذلك بفضله ومنّه وكرمه، إنه على ما يشاء قدير.

٥ ـ معيّةُ الله تعالى:

إن المؤمن يعبد الله تعالى بأحب الأعمال إليه سبحانه، ويأتي فيها على الوجه الأكمل، ويحب الله عز وجل أن تُؤتى فرائضه ويعتنى بها أولاً ومن ثم تأتي الفروع والجزئيات لتزيد العبادة حلاوة وجمالاً وطُهراً ونقاءً.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

«ما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليَّ ممّا افترضتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويَده التي يبطِش بها، ورجله التي يمشي بها. وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكرَهُ مَساءته»[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

ونُدرك من الحديث أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى، وأشدّ تقريباً. ففي الاتيان بالفـرائض على الـوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر، وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية وذلّ العبـودية، فكـان التقرُّب بـذلك أعظم العمل.

والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة، لكن الذي يؤدي النَّفل لا يفعله إلاَّ إيثاراً للخدمة فيُجازى بالمحبة التي هي غايةُ مطلوبِ مَنْ يتقرَّب بخدمته.

وقُرْبُ العبد من الله يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه، وقرب الرب من عبده ما يخصّه به في الدنيا من عرفانه، وفي الآخرة من رضوانه، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه.

وقربُ الله تعالى بالعلم والقدرة عامّ للناس، وباللطف والنصرة خاص بالخواص، وبالتأنيس خاص بالأولياء.

وتأتي النوافل المكمِّلة للفرائض تـرفع من مقـام العبد، وتقرِّبه من المولى عز وجل، وذلك بأداء الفرائض والدوام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما، وهذا يُفضي إلى محبة الله تعالى.

ومن كان الله معه فلن يخاف ولن يخشى شيئاً، فهو يستند إلى القوة العظمى والركن المكين.

موضوعات الكتاب